

رقم التسجيل: ط 1 : 20085087817

رقم التسجيل: ط 2 : 97454301

مذكرة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص : أدب جزائري

بعنوان:

هندسة المكان في رواية " رحيل " لمحمد العيد بهلولي

تحت إشراف الأستاذ:

إعداد الطالبين:

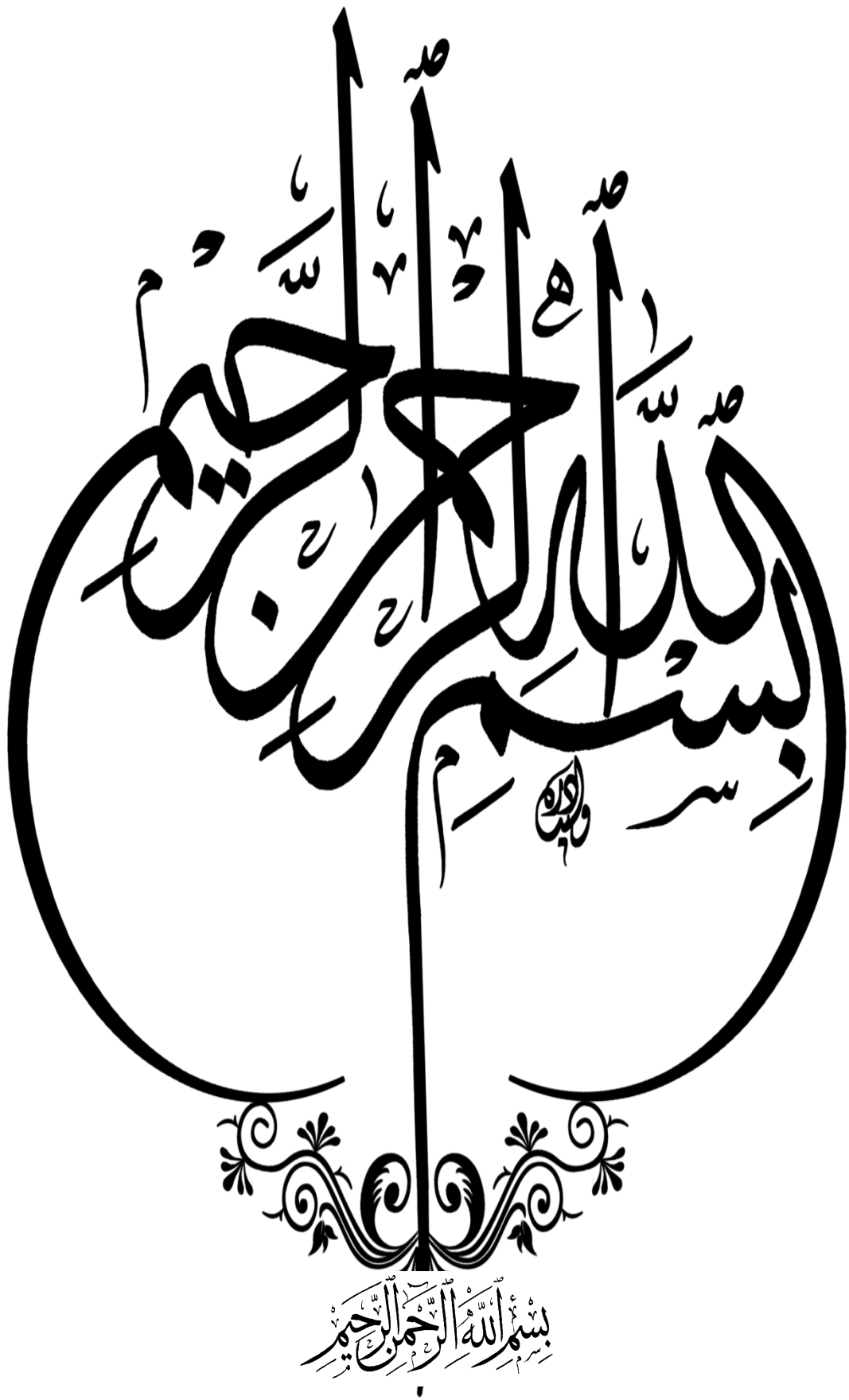
- عمار مهدي

• سهام عبد الكبير

• صورية داود

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	عليوي عمار	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	رئيسا
2	عمار مهدي	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
3	معمر عبد الكريم	أستاذ محاضر ب	جامعة المسيلة	ممتحنا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ " وعملابهذه الحديث واعترافا بالجميل
نحمد الله عز وجل ونشكره على أن وفقنا لإتمام هذا العمل .

وتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف " عمار مهدي " الذي رافقنا طيلة هذا البحث وأمدنا بالنصائح
القيمة راجين من المولى عز وجل أن يسدد خطاه ويحقق مناه فجزاه الله عنا كل خير .

كما نتقدم بالشكر إلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي .

كما أرفع عبارات الود والعرفان إلى أسرتي الكريمة التي تحملت معي معاناة البحث فكانت لي
خير سند ومعين .



إهداء :

إلى أعز الناس وأقربهم إلى قلبي والدتي العزيزة والدي العزيز اللذان كان عوناً وسنداً لي، وكان لدعائهما المبارك أعظم الأثر في تسيير سفينة البحث حتى ترسو على هذه الصورة.

إلى من ساندني وخط معي خطواتي ويسر لي الصعاب إلى زوجي الغالي "أيوب" الذي تحمل الكثير وعانى معي، ووصولي إلى هذه المرحلة ما كان ليحدث لولا تشجيعه المستمر.

إلى فلذات كبدي "محمد ومعاذ" اللذان حرما مني طيلة الفترة التي قضيتها في إعداد هذا البحث، إلى القادم الجديد الذي تحمل معي المشقة والتعب.

إلى من قاسموني مشوار العمر إخوتي الأعزاء سعاد وابتيتها رتييل وتسليم وزوجها، سخرية، عبد الصمد، سعد الدين.

إلى روح جدتي

إلى رفيقة دربي التي تحملت معي المشاق والصعاب حفظها الله "رانيا".

إلى جميع أهلي وأقاربي وكل من يحمل لقب "عبد الكبير" و"مرشيش".

إلى أساتذتي وأهل الفضل علي الذين غمروني بالتقدير والنصيحة والتوجيه والإرشاد. إلى كل زملاء

الدراسة والعمل، إلى كل الأشخاص الذين أحمل لهم الحبة والتقدير إلى كل من نسيه القلم وحفظه القلب، إلى كل

هؤلاء أهديتهم هذا العمل المتواضع سائلة الله العلي القدير أن ينفعنا به ويمدنا بتوفيقه.





مقدمة

استطاعت الرواية في القرن التاسع عشر أن تثبت وجودها في الساحة الثقافية العالمية أن تصدر قائمة الأجناس الأدبية، بفعل ما تتوفر عليه من مرونة و قدرة على مواكبة مجريات الواقع و ميل متواصل إلى التجريب التشكيلي و رفق منجزها السردى بآليات و تقنيات متنوعة، و موضوعات جديدة إضافة إلى إسهامها في إنتاج المعرفة و بث الأفكار الإيديولوجية و السياسية و الاجتماعية.

و تشكل الرواية العربية بشكلها المعاصر ملحا أدبيا مستحدثا في الثقافة العربية أكد جدارته في النصف الثاني من القرن العشرين و حتى اليوم في تصدر ما سواه من الأجناس الأدبية، و أكد أيضا رسوخه و قدرته على التجذر في الوعي الثقافي العربي و هيمنته على مساحة القراءة في عمليات التلقي الراهنة.

و إذا خصصنا بالحديث الرواية الجزائرية نجد أنها ظهرت متأخرة بالقياس مع الأشكال الأدبية الحديثة كالمقال الأدبي و القصة القصيرة و المسرحية، بل إن هذه الأشكال الجديدة تعتبر حديثة مقارنة مع مثيلاتها في الأدب العربي الحديث.

و قد بدأت الرواية في الجزائر تشق طريقها مع الكاتب "رضا حوحو" الذي يعد أول من كتب بطريقة فنية في مؤلفه "غادة أم القرى" عام 1974، حيث اعتبرها الدارسون باكورة الإبداع الروائي في الجزائر، ثم جاءت قصة "الطالب المنكوب" لعبد المجيد الشافعي و التي كتبها و نشرها عام 1951 و نشر كذلك في تونس سنة 1957 نص روائي "الحريق" من تأليف "نور الدين بوجدره"، بيد أن البداية الحقيقية الجادة للرواية الفنية ناضجة ترتبط برواية "ريح الجنوب" لـ "عبد الحميد بن هدوقة" سنة 1971، حيث اعتبرها النقاد تزكية للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة للخروج بالريف من عزلته و رفع الظلم عن الفلاح و دفع كل شكل لاستغلال الإنسان، و الشيء نفسه عني به مرزاق بقطاش في رواية "طيور

الظهيرية "حاول أن يغطي فنيا إنجازات الثورة الوطنية، و يرسم بريشته الدقيقة ما تعانیه الطبقة المسحوقة أثناء فترة الاستعمار الفرنسي و الهموم التي يعيشها الأطفال.

و لقد تأخرت الرواية في الظهور إذا ما قورنت بالأشكال الأدبية الأخرى و ذلك لعدة عوامل من بينها أنّ ظروف الثورة كانت أدعى لإنشاء الملاحم الشعرية منها إلى كتابة الرواية، فدفعت بالشعر إلى أن يكون في الصفوف الأمامية للمقاومة، بالإضافة إلى ضعف النقد و عدم وجود الناقد الموجه و كذا ضعف النشر و الوسائل المشجعة لدفع الأديب للكتابة و الإبداع، بالإضافة إلى غياب العنصر المتلقي و الذي كان غائبا في ظل الأمية التي فرضت على الشعب الجزائري، كما ينبغي أن لا ننسى وضع المرأة المغلق في المجتمع الذي أعاقها و منعها من الولوج في الحياة الاجتماعية و السياسية، ضف إلى ذلك أنّ الرواية فن صعب يحتاج إلى تأمل طويل وصبر و ظروف ملائمة تساعد الأديب على تطوره و عناية الكتابة به. لذلك اتّجه الأدباء إلى القصة القصيرة لأنّها تعبر عن واقع الحياة اليومية خاصة أثناء الثورة التي أحدثت تغييرا عميقا في الفرد، كما أنّ الرواية تتطلب لغة طيّعة مرنة قادرة على تصوير البيئة كاملة و هذا ما لم يتوفر لها إلا بعد الاستقلال و فوق هذا فإنّ كتاب الرواية الجزائرية لم يجدوا أمامهم نماذج جزائرية يمكنهم النسخ على منوالها، و مع ذلك فإنّ هؤلاء الكتاب أبدعوا بلغتهم نماذج فنية رائعة في الرواية العربية الحديثة المعاصرة.

و رواية "رحيل" لمحمد العيد بهلولي واحدة من بين الروايات المعاصرة التي أبدع فيها الكاتب معبرا عن رحلاته و تجاربه في السفر بكلّ تفاصيلها في إطار مكاني واضح.

و أمام هذا الحضور الطاغي للمكان اخترنا دراسة هذه الرواية تحت عنوان "هندسة المكان في رواية رحيل لمحمد العيد بهلولي".

و قد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لأسباب متعدّدة من بينها الرغبة في البحث في مجال التخصص و بالضبط اتّجهنا للجنس الروائي، لأنه من بين الأجناس التي تستهويننا و أكثرها قربا للواقع ومحاكاة له.

و اختيارنا لدراسة المكان كان من أجل معرفة كيف أن الراوي رسم عوالم جديدة وتمكّن من تشكيل المكان و جعله متنوعا وإطارا يحتوي على أحداث.

و من خلال هذا العمل نسعى للإجابة عن الإشكالية التالية:

ما مفهوم المكان؟ وما هي أنواعه؟ و ما هي أهميته في العمل الروائي؟ و كيف تشكل المكان في رواية "رحيل" لمحمد العيد بهلولي؟ و ما هي دلالاته؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي لأنه مناسب للموضوع، و قد حدّدنا هيكل البحث على هذا النحو:

مقدمة يليها فصلين و خاتمة، الفصل الأول كان نظريا و جاء بعنوان ماهية المكان الروائي، حيث تناولنا فيه مفهوم المكان لغة و اصطلاحا، و عرّجنا لأنواع المكان و أنواع الأمكنة، ثم أهمية المكان و وظيفته.

أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا موسوما بالمكان و دلالاته في رواية رحيل حيث تطرقنا فيه إلى دراسة الأمكنة المفتوحة والمغلقة و المتحركة الواردة في الرواية و دلالاتها، ثم ذيلنا بحثنا بخاتمة احتوت أهم النتائج المتوصل إليها.

و قد اعتمدنا خلال رحلة بحثنا على مجموعة من المصادر و المراجع أهمها:

رواية " لرحيل " كمصدر"، و مراجع عديدة أهمها:

بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي لحמיד لمداني، الرواية و المكان لياسين النصير، بناء الرواية لسيزا قاسم، في نظرية الرواية لعبد المالك مرتاض، جماليات المكان لغاستون باشلار.

و قد واجهتنا في هذا البحث مجموعة من الصعوبات المتمثلة في:

ندرة الأعمال التي تناولت هذه الرواية، كثرة الآراء والترجمات مما أدى بنا إلى الاطلاع وانتقاء ما يناسب بحثنا، و على الرغم من كل الصعوبات استطعنا تذليلها بفضل عون الله و إرشادات الأستاذ المشرف.

و لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشكر الله الذي وفقنا لهذا العمل و ما كنا لنصل لولا فضله، كما نشكر الأستاذ " عمار مهدي" الذي دعمنا و ساندنا، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

الفصل الأول:

ماهية المكان الروائي

1_ مفهوم المكان

1_1_ المكان في القرآن الكريم

2_1_ المكان لغة

3_1_ المكان اصطلاحا

2_ أنواع المكان

1_2_ الفضاء

2_2_ المكان

2-3- الحيز

3_ أنواع الأمكنة

3_1_ المكان المفتوح

3_2_ المكان المغلق

3-3- المكان المتحرك

4- أهمية المكان

5- وظيفة المكان

خلاصة الفصل الأول

1- مفهوم المكان:

1-1- المكان في القرآن الكريم:

وردت لفظة المكان في القرآن الكريم في الكثير من السور و الآيات بدلالات مختلفة و معاني متنوعة، و قد استدلينا ببعض الآيات القرآنية الكريمة كقوله تعالى في سورة ق: ﴿وَ اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾⁽¹⁾ بمعنى و استمع يا محمد النداء و الصوت حين ينادي إسرافيل بالحشر من موضع قريب يصل صوته إلى الأعلى على السواء و معنى المكان هو الموضع.

و قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ فُرِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ (51) وَ قَالُوا آمَنَّا بِهِ وَ أَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ (52) وَ قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَ يَفْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾⁽²⁾.

﴿أُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي أخذوا من الموقف أرض المحشر إلى النار.

﴿وَ أَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾، محل الإيمان في الدنيا.

﴿وَ يَفْذِفُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي يرمون بظنونهم في الأمور المغيبة فيقولون: لا بعث و لا حساب، و لا جنة و لا نار.³

و في هذه الآيات جاء المكان بمعنى الموقف و المحل، و قوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَ جَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَّكَانٍ﴾⁽³⁾ أي أحاطت بهم أمواج البحار من كل جهة.

(1) سورة ق: الآية 41.

(2) سورة سبأ: الآيات 51-53.

(3) سورة يونس: الآية 22.

و قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ﴾⁽¹⁾ أي حولنا الحال من شدة إلى رخاء، و من مرض و سقم إلى صحة و عافية، و من فقر إلى غنى⁽²⁾، و هي بمعنى الحال.

إنّ المكان في القرآن الكريم و ما يتضمنه من جماليات و فنيات تفوق قدرة المكان في النصوص الأدبية و تقنياتها و هذا يرجع لأسباب كثيرة، من بينها أن القرآن الكريم هو كلام الله عز و جل صالح لكل زمان و مكان و لغته تمتاز بالثراء و التنوع و البلاغة و الإعجاز البياني، و هذا يعد من أبرز جمالية المكان بصورة فنية محكمة.

فالله سبحانه و تعالى ذكر المكان في القرآن لما يحمله هذا المصطلح من أهمية في تجسيد الصور المعنوية و الدينية و تصوير و تقريب الصورة الذهنية أكثر خاصة في القصص القرآني، و الهدف من كل ذلك هو التذكر والتدبر و أخذ الدروس و العبر و توضيح الشرائع و العقائد و المقاصد.

1-2-المكان لغة:

لا تختلف المعاجم العربية في مجملها على ما أسند للفظه "مكان" من معنى، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور: "المكان و المكانة واحد التهذيب: الليث مكان في أصل تقدير الفعل مَفْعَلٌ، لأنه موضع لكيونة الشيء فيه، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى فَعَالٌ، فقالوا مَكْنَأً له و قد تَمَكَّنَ، و ليس هذا بأعجب من تَمَسَّكَنَ من المسكن. قال و الدليل على أن المكان مَفْعَلٌ أن العرب لا تقول في معنى هو مَتَّى مكان كذا و كذا إلا مَفْعَلٌ كذا و كذا بالنصب... و المكان الموضع و الجمع أمكنة كقذال و أقذلة، و أماكن جمع الجمع".⁽³⁾

⁽¹⁾ سورة الأعراف: الآية 95.

⁽²⁾ محمد علي الصابوني، مختصر تفسير بن كثير، المجلد الثاني، ط 7، منقحة، دار القرآن الكريم، بيروت، 1402هـ، 1981م، ص 37.

⁽³⁾ ابن منظور، لسان العرب، ج13، دار صادر بيروت، لبنان، ط4، 2005، ص112.

و يقول الفيروز بادي في مادة "مكن": "أن المكان: الموضع والجمع: "أمكنة و أماكن".⁽¹⁾
و جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: "الميم و النون و الكاف كلمة واحدة.
المسكن: بيض الضّب... و المكّنات: أوكار الطّير، و يقال مكّنات".⁽²⁾
وردت كلمة مكان عند اللغويين بمعان متقاربة تكاد تتفق على أن المكان يعني
الموضع، كما يطلق المكان على وكّات الطير و المنازل و نحوها.

1-3-المكان اصطلاحاً:

إنّ المكان حقيقة ثابتة تاريخياً بوجوده السابق و الضارب في القدم، فهو أقدم من
الإنسان الذي استطاع بما منحه الله عز و جل من عقل و حكمة في أن يتدخل في هذا
المكان حسب حاجته إليه، سواء بالتغيير أو بالإضافة، فيضفي عليه لمساته العبقريّة تاركاً
بصماته التي تؤكّد مدى احتوائه للعلم و الثقافة معاً.

لقد ارتبط مصطلح "مكان" بمختلف العلوم و التخصصات حيث أنّه قد شغل الكثير من
النقاد و الدارسين و العلماء الذين بدورهم قد أولوه الاهتمام بنسب متفاوتة.

جاء المكان في المعجم الفلسفي بمعنى المحل المحدد الذي يشغله الجسم، و معناه عند
ابن سينا: "السطح الباطن من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي".⁽³⁾

أما علماء النفس فيؤمنون بأن "حقيقة المكان النفسية تقول إن الصفات الموضوعية
للمكان ليست إلا وسيلة أو وسائل قياسية تسهل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية، تماماً
كالمقاييس الموضوعية للزمن".⁽⁴⁾

(1) الفيروزبادي، القاموس المحيط، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص279.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، 1979، ص343-344.

(3) جميل صليبيّا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1982، ص412.

(4) عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط4، د س، ص59.

و المكان إذا ما عرض في العمل الروائي، فإنّه لا يقصد به المكان الجغرافي و إنّما يقصد به ذلك المكان اللفظي المتخيل، أي المكان الذي تصنعه اللغة خدمة للتخييل الروائي، فيجعل المكان تشكيلا يجمع مظاهر المحسوسات و الملموسات و مكونات من مكونات الرواية يؤثر فيها ويتأثر بها. (1)

يمثل المكان الروائي مكونا محوريا في بنية السرد حيث لا يمكن تصور حكاية دون مكان ولا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدود و زمان معين و يتأسس على اللغة، فهو مكان لغوي تخيلي تصنعه اللغة الأدبية من ألفاظ لا من موجودات و صور. (2)

و قد عرف ياسين النصير المكان حيث قال: "المكان عندي مفهوم واضح و يتلخص بأنّه الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان و مجتمعه، و لذا فإن فشانه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزء من أخلاقية و أفكار و وعي ساكنيه." (3) و منذ القدم وحتى الوقت الحاضر كان المكان هو القرطاس المرئي و القريب الذي سجل الإنسان عليه ثقافته و فكره و فنونه، مخاوفه و أماله، و أسراره و كل ما يتصل به و ما وصل إليه من ماضيه ليورثه إلى المستقبل. (4)

و قد أكدت سيزا قاسم على أن تجسيد المكان في الرواية يختلف عن تجسيد الزمن حيث أن المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية، و يظهر على خط الأحداث و يصاحبه و يحتويه فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث. و يرتبط إدراك المكان

(1) خليل صلاح الدين بلعيد/ إبراهيم فكرون، دراسات روائية في السيرة الذاتية والمكان، الماهر للطباعة والنشر، سطيف، الجزائر، ط1، 2019، ص132.

(2) جوادى هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013/2012، ص33.

(3) ياسين النصير، الرواية والمكان دار الحرية للطباعة، بغداد العراق، د ط 1986، ص16، 17.

(4) المرجع نفسه، ص17.

بالإدراك الحسي و قد يسقط الإدراك النفسي على الأشياء المحسوسة لتوضيحها و التعبير عنها، و من هذا المنطلق نرى أن المكان ليس حقيقة مجردة و إنما هو يظهر من خلال الأشياء التي تشغل الفراغ، و أسلوب تقديم الأشياء هو الوصف. (1)

و من هنا نستنتج أن مفهوم المكان قد أخذ تعاريف متعددة حسب تعدد و تنوع مجال استعماله.

2-أنواع المكان:

تعتبر مصطلحات المكان، الفضاء، الحيز من أهم الألفاظ التي شددت انتباه النقاد و خلقت أزمة تعدد، فعاج كل فريق يدلي بدلوه حول المصطلح الأحق بتوظيفه في أي فن من فنون الأدب و هل يختص به هذا الفن أو ذاك، و تعود صعوبة تحديد المصطلح إلى عملية الترجمة، التي أضاعت المعنى القريب الأصح و الحقيقي للمصطلح، و تركته يجول و يدور في كم هائل من الدلالات و التي زادت الأزمة تفاقمًا.

يشيع مصطلح "الفضاء" عند النقاد الغربيين إذ يعنونون به كتبهم و مقالاتهم، في حين يظهر مصطلح "المكان" على استحياء لأداء غايات يرتضيها أصحابها، أما العرب فلا يصطنعون مصطلح الفضاء في كتاباتهم النقدية، إنما يحتل مصطلح "المكان" عندهم مقاما طباعيا أكبر، كما يرفض البعض لفظة "الفضاء" كما فعل "عبد المالك مرتاض" الذي يستعويض بها مصطلحا آخر و هو "الحيز". (2)

(1) سيزلا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، د ط، 2004، ص106.

(2) زوز نصيرة، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي المعاصر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، العدد السادس، 2010 جانفي، ص04.

2-1- الفضاء:

لغة: جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس: "فضى الفاء و الضاد و الحرف المعتل أصل صحيح يدلّ على انفساح في شيء و اتساع، و من ذلك الفضاء: المكان الواسع".⁽¹⁾

- اصطلاحاً:

يعد الفضاء عنصر أساسيا من عناصر النص الروائي، حيث حظي في الرواية العربية و الغربية بدراسات متعددة، و مصطلح الفضاء ذو غزارة و تنوّع و تعقيد، فأصابه ما أصاب غيره من المصطلحات من فوضى في التسمية، و التباس في المدلول و المفاهيم، فارتبط بمفهوم المكان و الحيز، و إن كانت الدراسات النقدية الحديثة في الغرب قد أولت مصطلح الفضاء لبلوغه المعنى المقصود.

يرى "لوري لوتمان" أن الفضاء مجموعة من الأشياء المتجانسة (ظواهر و حالات و وظائف و صور، و دلالات متغيرة) تقوم بينها علاقات شبيهة بتلك العلاقات المكانية المعتادة (الامتداد و المسافة)، بل إنّ العلاقة المكانية تصبح من الوسائل الأساسية للتعرف على الواقع.⁽²⁾

لقد شكل الفضاء على الدوام محايثا للعالم تنتظم فيه الكائنات و الأشياء و الأفعال، معيار القياس الوعي و العلائق و التراتيبات الوجودية و الاجتماعية و الثقافية.⁽³⁾

⁽¹⁾ أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج4، ص507.

⁽²⁾ إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي في أدب جبر إراهيم جبرا، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2012، ص33.

⁽³⁾ حسن نجمي، شعرية الفضاء. المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت. لبنان، ط1، 2000. ص32.

و منه نجد أن الفضاء يتميز بالانّساع و الشمولية أي يتسع ليشمل الإيقاع المنظم للحوادث التي تقع في هذه الأمكنة و لوجهات نظر الشخصيات فيها⁽¹⁾، فالفضاء موجود على امتداد الخط السردي، إنّه لا يغيب مطلقاً حتى و لو كانت الرواية بلا أمكنة، الفضاء حاضر في اللغة، في التركيب، في حركية الشخصيات و في الإيقاع الجمالي لبنية النص الروائي⁽²⁾، و يمثل الفضاء الخط الأساسي الذي تسير عليه الرواية.

و في ذات السياق يقول حميد لحمداني: "إنّ الفضاء في الرواية هو أوسع و أشمل من المكان، إنّه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكي سواء تلك التي تمّ تصويرها بشكل مباشر أم تلك التي تدرك بالضرورة، و بطريقة ضمنية مع كلّ حركة حكاية".⁽³⁾

إنّ الفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى للسرد لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاء لفظي بامتياز، و يختلف عن الفضاءات الخاصة بالسينما و المسرح أي عن كل الأماكن التي ندركها بالبصر أو السمع، إنّه فضاء لا يوجد إلا من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب و لذلك فهو يتشكل كموضوع للفكر الذي يخلقه الروائي بجميع أجزائه و يحمله طابعا مطابقا لطبيعة الفنون الجميلة و لمبدأ المكان نفسه.⁽⁴⁾

2-2-المكان:

تنبثق أهمية دراسة المكان في الرواية من كونها مرشدا إلى نماذج أكبر دلالة على الحياة و إسهاما في تطوير الإبداع الروائي، و رغم هذه القيمة الكبرى للمكان في الرواية

⁽¹⁾ سمر روجي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤيا مقاربات نقدية، اتحاد المكتبات العرب، دمشق، سوريا، د ط، 2003، ص71.

⁽²⁾ حسن نجمي، شعرية الفضاء، مرجع سابق، ص65.

⁽³⁾ حميد لحمداني، بنية النص السرد من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1991، ص64.

⁽⁴⁾ حسن بحراري، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1990، ص27.

العربية فإنه لم يحظ بالاهتمام اللازم من قبل الباحثين و النقاد، مع أنّ المكان يحتل حيزاً أكبر و أهم في الرواية العربية ذلك أن لا أحداث و لا شخصيات يمكن أن تلعب أدوارها في الفراغ و دون مكان، و من هنا تأتي أهمية المكان ليس كخلفية للأحداث فحسب بل كعنصر حكاية قائم بذاته إلى جانب العناصر الفنية الأخرى المكونة للرواية.⁽¹⁾

يعد المكان عنصراً فاعلاً في البناء الروائي و ليس زائداً، يتخذ أشكالاً تحتوي على مضامين عديدة من خلال انعكاسه على عناصر العمل الأخرى، و يعكس المكان ما يدور بخاطر الشخصيات من أحاسيس مفرحة أو محزنة أو شعورها بالأمن و الطمأنينة أو الخوف و القلق.⁽²⁾ و قد اهتم الدارسون بعنصر المكان و من بينهم غاستون باشلار الذي أنجز مجموعة من الدراسات حول المكان أهمها كتاب "شعرية المكان" و ترجمه "غالب هلسا" تحت "جماليات المكان" و قد تناول فيه الجانب الجمالي للأمكنة.⁽³⁾

و يوضح هلسا: "أن النقطة الأساسية والتي ينطلق منها المؤلف هي البيت القديم بيت الطفولة هو مكان الألفة و مركز تكيف الخيال"، و عندما نبتعد عنه نظل دائماً نستعيد ذكره و نسقط على الكثير من مظاهر الحياة المادية، ذلك الإحساس بالجمالية و الأمن اللذين كانا يوفرهما لنا البيت القديم.⁽⁴⁾

و تظل خصوصية المكان القديم بيت الطفولة ذات تأثير كبير على ذاكرة الإنسان مهما ابتعد عنه جسدياً إلا أنه يظل قابلاً و محفوراً في ذاكرته، كما يرى باشلار: "أنّ المكان

⁽¹⁾ محمد عزام، فضاء النص الروائي مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية سوريا، ط1، 1996، ص111.

⁽²⁾ محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق سوريا، دط، 2011، ص31.

⁽³⁾ عجوج فاطمة الزهراء، المكان ودلالته في الرواية المغاربية المعاصرة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2017/2018، ص07.

⁽⁴⁾ غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، بيروت لبنان، ط2، 1984، ص9.

الذي يجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا مباليا ذات أبعاد هندسية و حسب"، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط بل بكل ما في الخيال من تحيز. (1)

و قد اختلف النقاد أيضا حول التسمية التي تطلق على عنصر المكان، فتعددت بذلك المصطلحات الدالة، و من بينها مصطلح الموقع والفراغ إضافة إلى مصطلح البقعة الذي يتسم بصفة التحديد و يدل على مكان وقوع الحدث، إلا أن مصطلح المكان كان أكثر شيوعا بين النقاد و أكثر استعمالا في الدراسات النقدية العربية على حد قول "سيزا قاسم" التي استخدمته لاتساقه مع لغة النقد العربي. (2)

فالمكان يشكل العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الروائي ببعضها البعض و هو الذي يسم الأشخاص و الأحداث الروائية في العمق و يدل عليها. (3)

المكان الروائي هو المكان اللفظي المتخيل أي المكان الذي صنعه اللغة انصياعا لأغراض التخيل الروائي حاجاته، و هذا يعني أن أدبية المكان أو شعرية مرتبطة بإمكانات اللغة على التعبير عن المشاعر و التصورات المكانية، مفضية إلى جعل المكان تشكيلا يجمع مظاهر المحسوسات و الملموسات و مكونا من مكونات الرواية يؤثر فيها و يتأثر بها. (4)

2-3- الحيز:

- لغة: ورد في معجم مقاييس اللغة: "الحاء و الياء و الزاء ليس أصلا، لأنّ ياءه في الحقيقة واو، و من ذلك الحيز الناحية و انحاز القوم. (5)

(1) المرجع السابق، ص10.

(2) سيزا قاسم، في بناء الرواية، مرجع سابق، ص75، 76.

(3) أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص128.

(4) سمر روجي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤيا، مرجع سابق، ص73.

(5) أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج2، ص123.

– اصطلاحاً:

شاع في العصر الحديث استخدام مصطلحات بديلة لمصطلح المكان مثل "الحيز" و نجد الناقد الجزائري "عبد المالك مرتاض" من أهم الباحثين استعمالاً له، كما أنه اهتم بالحيز في العمل الفني فعرفه بأنه مفهوم مكاني دون أن يكون على الحقيقة بالمفهوم الجغرافي... الحيزية الخلقية أو الحيزية الناشئة عن الإطار المحيط، فهو مفهوم مكاني، لكن لا يقصد به الدلالة على الحيز الجغرافي للمكان الحقيقي، إلا أنه يبقى أوسع منه امتداداً و ارتفاعاً، و اتجاهاً ذا فعالية، فالحيز هو الحركة في اللامحدود. (1)

و الحيز عند غريماس هو: "الشيء المبني (المحتوي على عناصر متقطعة) انطلاقاً من الامتداد المتصور، هو على أنه بعد كامل ممتلئ، دون أن يكون حل لاستمراريته و يمكن أن يدرس هذا الشيء المبني من وجهة نظر هندسية خالصة". (2)

و هناك من الباحثين من يرى أن مفهوم الجغرافيا المكانية للنص يقصد به حدود التضاريس المكانية للنص الحكائي من حيث حيز المكان الجغرافي في النص، و حيز التتابع المكاني له وفقاً للرؤية الفكرية المطروحة و علاقة كل منهما بالشخصية و الحدث و اللغة. (3)

و إذا كان للمكان حدود تحده و نهاية ينتهي إليها، فإن الحيز لا حدود و لا انتهاء، فهو المجال الفسيح الذي يتبارى في مضطربه كُتاب الرواية فيتعاملون معه بناء على ما يودون من هذا التعامل، حيث يغتذي الحيز من بين مشكلات البناء الروائي كالزمان و الشخصية واللغة.... و لا يجوز لأي عمل سردي (حكاية، خرافة، قصة، رواية...) أن

(1) عجوج فاطمة الزهراء، المكان ودلالته في الرواية المغربية، مرجع سابق، ص 9.

(2) عبد المالك مرتاض، في نظريات الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط، 1998، ص 122.

(3) مراد عبد الرحمن مبروك، جيوبو ليتيكا النص الأدبي، تضاريس الفضاء الروائي نموذجاً، دار الوفاء، الاسكندرية، مصر، ط، 2002، ص 67.

يضطرب بمعزل عن الحيز الذي هو من هذا الاعتبار عنصر مركزي في تشكيل العمل الروائي حيث يمكن ربطه بالشخصية و اللغة و الحدث ربطا عضويا. (1)

الحيز هو التضاريس المكانية المحدودة بحدود معينة في النص الأدبي، سواء كانت هذه التضاريس حقيقية أو مجازية وسواء كانت واقعية أو فنية، و تتمثل هذي التضاريس في الأمكنة المختلفة الواردة في النص الروائي. (2)

و قد يكون الحيز الروائي ممثلا في قرية أو مدينة، كما قد يتمثل في هضبة أو جبل، كما قد يكون طرقا، كما قد يكون شاطئ بحر، أو ضفتي نهر، أو جلهتي بحيرة، أو جانبي واد... و يتسم الحيز الروائي في معظم أطوار مثوله بالجمالية و الإيحاء، و يتفاوت الروائيون في البراعة لدى بنائهم الحيز و رسمه، و تحديد معالمه و جعله كما يتعامل معه في الرواية الجديدة طرفا فاعلا في المشكلات السردية بحيث قد يستحيل إلى كائن يعي و يعقل و يضر و ينفع و يسمع و ينطق. (3)

بقيت المصطلحات الثلاث (المكان، الفضاء، الحيز) محل بحث أيهم أقرب للترجمة و أبعد للدلالة، فالمكان موقع يعيشه الأديب يبقى راسخا في الذهن يستحضره متى شاء و في أية لحظة يستذكر به الموقف، فهناك من النقاد من تشبث بهذا المصطلح، و هناك من رأى غيره لجحوده و احتكاره، فذهب إلى اعتبار أن الفضاء هو الأبلغ في التنظير، كونه العنصر الأساسي في تشكيل أي عمل روائي، و هو مكان وقوع الرواية و حركة شخصياتها و أفعالها، و آلامها و آمالها مع سيرورة الزمن فيها.

إنّ مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو عليه منطقيا أن نطلق عليه اسم فضاء الرواية، لأنّ الفضاء أشمل و أوسع من معنى المكان، و المكان بهذا المعنى هو مكّون الفضاء، و

(1) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، مرجع سابق ص125.

(2) مراد عبد الرحمن مبروك، جيوبو ليتيكا النص الأدبي، ص68.

(3) عبد المالك مرتاض، في نظريات الرواية، مرجع سابق، ص130.

ما دامت الأمكنة في الروايات غالبا ما تكون متعددة و متفاوتة، فإن فضاء الرواية هو الذي يلقها جميعا. إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية، فالمقهى أو المنزل، أو الشارع، أو الساحة كل واحد منها يعتبر مكانا محددا، و لكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلها، فإنها جميعا تشكل فضاء الرواية.(1)

3-أنواع الأمكنة:

للمكان أنساق و أنماط متعددة، و هذا راجع للمؤثرات الداخلية و الخارجية، و إلى عوامل بيئية و اجتماعية تؤثر مع الأدب و نتاجه وطبيعة النص الأدبي. و هذا ما أكدته الدراسات النقدية للمكان التي تحمل بين طياتها تقسيمات و عنوانات عدة لأنساقه و أنماطه(2).

و تعددت الأمكنة و تنوعت حسب توظيفها في الرواية من المكان الفردي و الجماعي إلى المحدود و اللامتناهي ثم المغلق و المفتوح.

و الشائع في الدراسات التي اهتمت بالرواية العربية فهي الأماكن المغلقة و المفتوحة، و في هذا يقول حميد لحمداني: "إن الأمكنة تخضع لتشكيلاتها أيضا إلى مقياس آخر مرتبط بالاتساع و الضيق و الانفتاح و الانغلاق".(3)

و كذلك قسم مهدي عبيدي المكان إلى أماكن مغلقة وأماكن مفتوحة(4).

(1) حميد لحمداني، بنية النص السردى، مرجع سابق، ص 63.

(2) محمد عويد محمد ساير الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، 1425 هـ، 2005م، ص 13.

(3) حميد لحمداني، بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 72.

(4) مهدي عبيدي، جماليات المكان في رواية ثلاثية حنا مينه، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، د ط، 2011، ص 44.

3-1-المكان المفتوح:

هو مكان لا تحده الحدود من أية جهة، مثل الشوارع و المدن و الصحراء و البحار و الحدائق و لا يخضع لسلطة أحد، و لا ملكية فيه لشخص.

و للأماكن المفتوحة دور بارز في تطور الأحداث و تلاحقها، و تحدث فيها الصراعات بين الأشخاص و تنتوع فيها الأحداث، بوصفها نقطة التقاء و تواصل مع العالم و مع الآخرين، و فيه يكتشف الشخص و يطلع على عوالم مجهولة بالنسبة إليه، من الناحية المادية و المعرفية و يؤثر و يتأثر من خلالها.

و يعتبر المكان المفتوح أو اللامتناهي مكان للألفة و المحبة و يحقق للإنسان المودة و الإيجابية و السمو و يعتبر الحاضنة لوجوده⁽¹⁾ من جهة، كما توحى في بعض الأحيان الأماكن المفتوحة عن المجهول و الاغتراب و الصراع و السلبية و الفشل.

و بذلك فإن المكان المفتوح هو الذي لا تحده الحدود من أبعاده الأربعة و لا سيما السقف، و يمتاز بأفقه الواسع، و الانفتاح الفكري و النفسي و الاجتماعي، و هو الفضاء الممتد نحو الطبيعة الواسعة، و نقطة الانطلاق و الحركة الدائمة.

و المكان المفتوح هو المكان العام الذي لا يخص الفرد الواحد و لا الجماعة الواحدة و إنما للعامة والإنسانية، عكس المكان المغلق الذي هو مكان خاص لا يختص بالجماعة.

و الأماكن المفتوحة هي الفضاءات التي تتجاوز كل محدد أو مقيد نحو التحرر و الاتساع و تتميز بالطلق و الحرية و تقضي على الشعور بالعزلة و الوحدة، و بذلك تكون خاضعة للطبيعة و ما تتميز به من شساعة و طلاقة، و نقطة التقاء كل البشر، و تزخر بأشكال متنوعة من الحركة " فهو ساحة مفتوحة لا تحدها حدود ضيقة "⁽²⁾.

⁽¹⁾المرجع السابق، ص 95.

⁽²⁾عبد الحميد بورايو، منطق السرد " دراسات في القصة الجزائرية، منشورات السهل، الجزائر، د ط، 2009م، ص 148.

و الأماكن المفتوحة عكس الأماكن المغلقة تضم عدد كبير من الأشخاص باختلاف الأجسام و الأعمار منفتحة على العالم الخارجي بكل ما فيه من تنوع، و توحى هذه الأماكن بالاتساع و التحرر " لأنها تترك للأبطال حرية الذهاب و الغياب و السفر، و قد تتيح لبعضهم إمكانية الطواف و الجولان أيضا.

3-2-المكان المغلق:

هو المكان المحدود و الذي تضبطه الحدود و الحواجز و يخضع للقياس، و يعرف بالحواس مما يجعل صاحبه بمعزل عن العالم الخارجي في جو يسوده الألفة و الأمن و العزلة.

و يكون محاط بأشكال هندسية متنوعة محدودة و يكتسب المكان وجودا من خلال أبعاده الهندسية و الوظيفية التي يقوم بها، فإذا كانت الفضاءات المفتوحة امتداد للفضاء الكوني الطبيعي مع تغير ما تعرفه حاجة الإنسان المرتبطة بعصره، فإن الحاجة نفسها تربط الإنسان بفضاءات أخرى، يسكن بعضها و بذلك تحميه من الطبيعة.

و المكان المغلق هو امتداد لما يحدث في المكان المفتوح باعتبار الأول جزء من الثاني.⁽¹⁾

و قد ميز غاستون باشلار بين الأمكنة الأليفة و الأمكنة المعادية.

فالأمكنة الأليفة هي الأماكن المرغوب فيها، أما المكان المعادي هو مكان الكراهية و الصراع.⁽²⁾

(1) مريم محمد عبد الله، حداثا مفهوم المكان في الرواية العربية رواية " وراء السراب قليلا لإبراهيم درغوثي أنموذجا، مجلة دراسات، جامعة بشار، جوان 2021 م، ص 150.

(2) محمد بوعزة، تحليل النص السردي، دار الأمان، الرباط، ط1، 2010م، ص 105.

و بذلك فإنّ المكان المغلق هو المكان الذي حددت مساحته و مكوناته، كالبيت الذي يمثل المأوى الاختياري و الضرورة الاجتماعية، و إذا كان البيت من الأمكنة المغلقة التي تدل على الألفة و الأمان فهناك مكان مغلق يكون مصدر للخوف و تقييد الحرية كالسجن و هو مكان إجباري مؤقت، و يمكن أن يكون المكان المغلق متنفس للهموم و المشاكل كالمقاهي.

و هناك أماكن مغلقة للفقراء و أخرى للأثرياء و هذه الفضاءات ينتقل بينها الإنسان و يشكلها حسب أفكاره و الشكل الهندسي الذي يروقه و يناسب تطور عصره، و ينهض الفضاء المغلق نقيض للفضاء المفتوح⁽¹⁾ و من هنا فإن المكان المغلق " هو مكان العيش و السكن الذي يأوي الإنسان و يبقى فيه فترات طويلة من الزمان، سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين لهذا فهو المكان المؤطر بالحدود الهندسية و الجغرافية".⁽²⁾

و هو الذي يبرز الصراع الدائم و القائم بين المكان كعنصر فني و بين الإنسان الساكن فيه، و لا يتوقف هذا الصراع إلا إذا بدا التآلف يتضح أو يتحقق بين الإنسان و المكان الذي يقطنه.⁽³⁾

3-3- المكان المتحرك:

و هو المكان الذي يمثل الحركة و الحيوية و الانتقال من مكان إلى آخر إذ يجد الإنسان حرته من خلال التفتح و الترويح عن النفس عن طريق التنقلات التي تعبر عن السيرورة و الحركة، من حالة السكون إلى حالة الحركة: " تعبر أماكن الانتقال و المرور،

(1) شريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، نشر عالم الكتب الحديث، ط1، 2010، ص 204.

(2) مهدي عبيدي، جماليات المكان في رواية ثلاثية حنا مينة، مرجع سابق، ص 44.

(3) المرجع نفسه، ص 44.

فهي التي ستشهد حركة الشخصيات و تشكل صرحا لعبورها كيفما تغادر أماكن إقامتها أو عملها⁽¹⁾، و هذا ما يجعل الشخصية في حرية مطلقة بانتقالها من ركن لآخر.

و تتمثل في وسائل النقل الجوية كالطائرة، و البحرية كالسفينة و الباخرة و الزورق، و البرية كالسيارة و القطار و الحافلة و الشاحنة، و غيرها من وسائل النقل المختلفة.

و نستخلص في الأخير أن المكان بكل أنواعه سواء المفتوح الذي يستحضر العقل بتصورات ذهنية لأماكن واسعة لا تغطيها أسقف و لا تحيط بها جدران، و هنا يكمن الاختلاف بين الأشخاص العاديين و الروائيين من خلال زاوية النظر و الطبقة الاجتماعية و المستوى الثقافي و الشعور و الحالة الداخلية النفسية التي تعبر عن النفسية سواء كان هذا المكان مفتوح أو مغلق أو متنقل.

فالمكان المغلق قد يتسع و يفتح إذا كانت الحالة النفسية جيدة و قد يضيق المكان المفتوح ليصبح مغلقا لنفسية سيئة و مضطربة.

4- أهمية المكان:

رغم أهمية المكان في الرواية، إلا أن دراسته في النقد العربي، تبقى نادرة و ضئيلة، و خاصة في الدراسات التي تناولت المكان الروائي.

و أشهر هؤلاء الدارسين سيزا قاسم 1985، حسن بحراوي 1990، و سمر روجي الفيصل 1995⁽²⁾، هذه الدراسات كانت أحد الحوافز التي دفعت بعجلة الوعي لدراسة جمالية المكان.

(1) احسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص 79.

(2) أحمد زياد محبك، جماليات المكان في الرواية، الفيصل مجلة ثقافية شهرية، السعودية، العدد 286، حزيران/ يونيو

و للمكان أهمية كبيرة في الرواية باعتباره أحد المكونات الأساسية لها، و العمود الفقري لعناصرها الفنية، و مسرح الأحداث التي تتحرك من خلاله الشخصيات و بذلك يخلق فضاء متميز بكل ما تحويه عناصر الرواية في مناخ تتفاعل معه كل وجهات النظر و له دور فعال و مساعد في تطوير بناء الرواية: "...هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية و الحامل لرؤية البطل، و الممثل لمنظور المؤلف، و بهذه الحالة لا يكون المكان كقطعة القماش بالنسبة إلى اللوحة، بل يكون الفضاء الذي تصنعه اللوحة".⁽¹⁾

و بذلك فإنّ المكان: "ليس عنصر زائدا في الرواية فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني عديدة، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله".⁽²⁾

و المكان في الرواية يرسمه خيال المتلقي، و بذلك يكون بعيدا عن العالم الخارجي، و يكون للغة دور فعال في إثرائه من خلال قدرتها الفائقة و ثرائها اللغوي في الإيحاء و بذلك يحدث التميز و المفارقات بين العالم الخارجي و العالم الروائي، و الهدف من وصف المكان هو إثارة خيال المتلقي و القارئ.

5- وظيفة المكان في الرواية:

يعتبر المكان في الرواية التقليدية مجرد خلفية محرّكة لشخصيات الرواية و أحداثها، و هو في نظر الروائيين معبرا عن نفسية الشخصيات و منسجما مع رؤيتها و حاملا لبعض أفكارها.⁽³⁾

(1) المرجع نفسه، ص 25

(2) حسن بحرأوي، بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص 33.

(3) أحمد زياد يزبك، جماليات المكان في الرواية، مرجع سابق، ص 26

و في هذه الحالة يبدو المكان كما لو كان خزاناً حقيقياً للأفكار و المشاعر و الحدس، حيث تنشأ بين الإنسان و المكان علاقة متبادلة يؤثر فيهما كل طرف على الآخر.⁽¹⁾

و بذلك يكون للمكان ثلاثة أنواع:

المكان المجازي: هو الذي نجده في رواية الأحداث و لا يتجاوز دور التوضيح، و لا يعبر عن تفاعل الشخصيات و الحوادث.

المكان الهندسي: و هو الذي تصوره الرواية بدقة كافية تنقل أبعاده البصرية، فتعين مسافته، و تنقل جزئياته من غير أن تعيش فيه.

المكان بوصفه تجربة: تحمل معاناة الشخصيات و أفكارها و رؤيتها للمكان و تثير خيال المتلقي فيستحضره بوصفه مكاناً خاصاً مميزاً.⁽²⁾

و بذلك إن المكان وحده لا يساعد في خلق الفضاء الروائي، لأبد للإنسان أن يخترق هذا المكان و يتفاعل معه و يعيش فيه و بذلك يتحول المكان من مكان عادي إلى مكان فعال، و بذلك فإنه يعطي أبعاداً أخرى للرواية من خلال فهم الشخصيات و تفسيرها.

فالمعيار إذن هو بناء الفضاء الروائي فإذا نجح الروائي في هذا البناء ينتج المكان الحقيقي و المكان المبدع.⁽³⁾

و خلاصة القول أنّ المكان في الرواية بالمفهوم التقليدي يمثل البنية التحتية، و حجر الأساس، ليحقق بذلك المكان البنية الفوقية من خلال هذا الفضاء الذي يخلقه، و بذلك

(1) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص 31.

(2) غالب هلسا، المكان في الرواية العربية، دار ابن هاني، دمشق، 1989، ص 9.

(3) سمر روجي الفيصل، بناء الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1995، ص 261.

يساهم في بناء الرواية، و مدى علاقته بالشخصيات، فيتسع ليشمل العلاقات بين الأمكنة و الشخصيات و الحوادث، و هي فوقها كلها ليصبح نوعا من الإيقاع المنظم لها.⁽¹⁾

تتنوع الآراء حول الوضع المكاني في الرواية، و يصبح بذلك محددًا أساسيا للمادة الحكائية و تتلاحق الأحداث و الحوافز، أي أنه يتحول في النهاية إلى مكون روائي جوهري و يحدث القطيعة مع مفهومه كديكور.⁽²⁾

ليصبح المكان في الرواية عنصرا فعالا في تطورها و بنائها و تفاعله كذلك مع الشخصيات و علاقتهما مع بعضهما البعض، لتتطور وظيفة المكان من مكان لوقوع الأحداث فيه إلى فضاء يتسع كلما زادت الأحداث و يصبح أحد الزوايا الأساسية في حياة الإنسان.

أما المكان الهندسي فهو ينعدم للقيم الفنية و هنا يكمن الاختلاف بين الواقع و الرواية، لأنّ المكان في الرواية ينظر له من زاوية الراوي و الشخصيات و الأحداث و الأفكار و التفاعل بينهم.

⁽¹⁾المرجع نفسه، ص 253.

⁽²⁾حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، مرجع سابق، ص 33.

خلاصة الفصل الأول:

مما سبق ذكره نرى بأن المكان عنصر هام من العناصر الفنية للعمل السردى، فهو من العناصر الفعالة في أحداث الرواية و هو جوهر النص لأنه العمود الذي يرتكز عليه.

المكان مصطلح حديث النشأة و الظهور في الساحة الفنية الغربية و في النقد العربي تأخر ظهوره أكثر من ذلك كونه مستورد من الغرب، تعددت مفاهيم المكان الروائي و له أيضا تسميات معادلة له كمصطلح الفضاء و الحيز، فالفضاء هو المكان الواضح الذي يشمل عناصر الرواية.

لقد أعطى المكان بنوعيه المغلق و المفتوح للبنية الحكائية ميزة و جمالية تهدف إلى دراسة الجمال المطلق في الطبيعة و تجارب الإنسان، حيث يضطلع المكان الروائي بمهمة كبيرة داخل العمل السردى و على الرغم من تعدد مفاهيمه و أبعاده إلا أنه يظل ذلك الإطار الذي يضم الحدث الروائي، و يعمل إلى جانب العناصر السردية الأخرى يحمل عادة شحنة واسعة من الدلالات، تتجدد مع كل قراءة نقدية له و عادة ما يعرضه المبدع بأسلوب تخييلي في قالب روائي فني و جمالي.

الفصل الثاني:

المكان و دلالاته في رواية

رحيل

1- الأماكن المفتوحة

2- الأماكن المغلقة

3- الأماكن المتحركة

4- دلالة المكان

خلاصة الفصل الثاني

يبقى للمكان حضور متميز في النص الروائي لأننا نفهم من خلاله سلوك الفرد و موقفه الانفعالي الذي يعبر عن الحالات الانفعالية للمكان، ليكون حصيلة للتفاعل بين إشارات المدركة في المجتمع و بين النفاذ إلى عمق التجربة المكانية.

و يمكننا القول بأن المكان هو سلطان المكونات السردية التي تمثل أمامه باقي مكونات النص، فتخضع له و لقوانينه و مبادئه و معاييرها التي يحددها طابع النص. (1)

و لقد اكتسى المكان أهمية في السرد الروائي خاصة مع التقنيات الحديثة للرواية، إذ أضحى المكان عنصرا حكايا متميزا لا يمكن إهمال دوره الكبير، فقد اعتبره أحمد مرشد العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الروائي ببعضها البعض و هو الذي يسم الأشخاص و الأحداث الروائية في العمق. (2)

تتأرجح بنية الخطاب الروائي في رواية " رحيل " لمحمد العيد بهلولي بين دلالات متنوعة و أمكنة متعددة، إذ تنوعت هذه الأخيرة بين أماكن مفتوحة و أماكن مغلقة و أماكن متحركة.

1- الأماكن المفتوحة:

تكتسي الأماكن المفتوحة أهمية بالغة في الرواية، إذ أنها تساعد على الإمساك بما هو جوهري فيها، أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها، من خلال ما تمد به الرواية من تفاعلات و علاقات تنشأ عند تردد الشخصية على هذه الأماكن العامة التي يرتادها الفرد في أي وقت يشاء. (3)

(1) عجوج فاطمة الزهراء، المكان و دلالاته في الرواية المغاربية المعاصرة، مرجع سابق، ص40

(2) أحمد مرشد، البنية و الدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، مرجع سابق، ص128

(3) فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية دراسة في ثلاث روايات: الجذوة، الحصار، أغنية الماء و النار، فراديس للنشر

و التوزيع، البحرين، ط1، 2003، ص80

و سنقوم بترتيب هذه الأماكن بناء على درجة انفتاحها من جهة و كثافة حضورها في الرواية.

• الشرق:

و هو أحد الأماكن المفتوحة فهو يعد أحد الاتجاهات الأربعة، و يقع إلى يمين خط جرينيتش في الجهة المعاكسة لاتجاه الغرب و هو موضع شروق الشمس.

و قد ذكر الشرق في الرواية للدلالة على دول المشرق العربي التي زارها الراوي بداية من مصر، فيقول في الرواية: " لم يكن السفر خارج الحدود هو الأول و الأخير، كان الثاني في سلسلة الأعداد غير أنه من ناحية الوجهة يختلف من ناحية الزمن الطولي و الأحداث، جاء هذه المرة الثانية عن طريق الشرق العربي بدل الغرب، و ليس من التبرير في شيء حين نقول متسائلين: إلى متى و رحالنا تشد إلى الغرب بدل الشرق." (1)

كما وردت أيضا للدلالة على لبنان في قوله: " المصيبة التي رمت بأهل لبنان في أتون مرجل أليم... لبنان و فكر لبنان و عز لبنان...رثة الشرق حين تسقط... نسقط جميعا من حبل الذاكرة، تسقط كذبة القومية على عتبات الانكسار و التجزئة -كلنا في الهم شرق- تنتشر اللعنة لتصيب الجميع..." (2) فالراوي هنا يؤكد على مكانة لبنان في المشرق العربي.

للمدن حضور متميز في الرواية، سواء كان حضورها مباشر أو غير مباشر، فهي لم تعد مجرد مكان للأحداث بل استحالت موضوعا خاصا مع تنامي العوامل الداخلية و الخارجية، فهي تبقى مجموعة من المسافات لها أبعادها الاجتماعية و النفسية و الفكرية و السياسية، المدينة هي مسكن الإنسان الطبيعي و هي المكان الإنساني الأفضل المبني

(1) محمد العيد بهلولي، رحيل رواية المنفى، الوطن اليوم، العظمة، سطيف، الجزائر، ط2، 2018، ص46

(2) الرواية، ص46

لسعادته، شأنها في ذلك شأن كل تجمع بشري كالقرية أو البادية.⁽¹⁾ و بهذا تكون ظاهرة مكانية خاضعة للتطور الزمني و يختلف تناولها من أديب إلى آخر.

ومن بين المدن التي زارها الراوي و ذكرها في روايته نذكر:

● تونس:

تونس العاصمة هي القلب التاريخي للبلاد، و هي أول وجهة قصدتها محمد العيد بهلولي، كما ذكر في الرواية: "من تونس الخضراء يبدأ المشوار... بعد أن يتم التحويل بمدينة عنابة، و من ثمة مباشرة إلى تونس"⁽²⁾ و يقول أيضا: "سنوات من السفر المتعب، بدأت من تونس و هدأت على عجل بالأراضي المنخفضة لتبدأ من جديد عبر مدن أخرى و أوطان أخرى لم تكن في الحسبان..."⁽³⁾

و كانت زيارة تونس بمثابة حلم عند الراوي حيث يسرد ذلك قائلا: "منذ كنا أطفالا نلعب، كانت تونس بدواخلنا تضيء... نحفظ الاسم عن ظهر قلب، نتلقفه من أفواه الكبار... نتخيل الاخضرار مشعا كأبواب سكرة في أحاجي الأمّهات..."⁽⁴⁾

و يضيف قائلا: "تونس الخضراء يتحول الحلم بأرضها حقيقة... تقيم ليلة بديارهم بدل الفندق، يموت الإحساس بالغرابة عند أول خطوة..."⁽⁵⁾

و لكن محمد العيد بهلولي كان يود أن لا يغادر تونس لو كان بإمكانه فعل ذلك فيقول: "لو أنّ الصوت يدوم... لو أنّ السيارة تظل بتراب تونس... لو أنّ تونس رفيقة لا

⁽¹⁾فأدة عفاق، دلالة المدينة في خطاب الشعر العربي المعاصر دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، منشورات اتحاد

الكتاب الأدباء والعرب، دمشق، د ط، 2001، ص19

⁽²⁾الرواية، ص48

⁽³⁾الرواية، ص45

⁽⁴⁾الرواية، ص48

⁽⁵⁾الرواية، ص48

تفارق... " (1)

● القاهرة:

رمز العلم والثقافة العربية، فهي التي نقلت العلوم و الفنون بشتى أنواعها إلى العالم العربي،⁽²⁾ فقد كانت مصر وجهة الراوي بعد ليبيا حيث ذكر ذلك في الرواية قائلاً: "جئت إلى القاهرة/ مصر من الجزائر وتونس، جئتها من طبرق إلى مرسى مطروح ذي الشاطئ السماوي المضيء جئتها من الخليج/سيرت... هي القاهرة الماهرة في الضيافة والمودة والأمان." (3) ويبدو أن محمد العيد بهلولي قد أطل المكوث بمصر وذلك لما وجده من حفاوة و حسن الضيافة و كذا المودة و الأمان، فقد بقي لمدة شهرين يتنقل بين القاهرة و الإسكندرية فقط على غرار الصعيد و باقي الأماكن التي قام بزيارتها حيث يقول: " مكثت بالقاهرة ما يقارب الستين يوماً، قضيتها متنقلاً بينهما، بين البحر و النخيل النهري على ضفاف النيل...أسوق روافدي، أنزل على هذه يومين أو ثلاثة و أعود لتلك أسبوعاً أو أكثر... في كل يوم تشدني الساحرة من عنقي تربت على كتفي ضربات المودة، تسألني على لسان أهلها الصابرين(أنت لسه شفت حاجة؟)" (4)

● دمشق:

دمشق من أقدم المدن في العالم و تتميز بجمال خلاب و ساحر، و لقد جمعت بين كل الثقافات و الحضارات حيث تغنى الكثير من الشعراء بجمالها و عروبتها في قصائدهم، و قد ورد ذكرها في الرواية، حيث قال: "منذ فجر التاريخ كانت الشام مقصداً للجاجين و المنفيين و الحيارى، الباحثين عن ذرة إيمان و قصيدة، كانت أمي رحمها الله تقول: كل

(1) الرواية، ص 49.

(2) خليل صلاح الدين بلعيد/ إبراهيم فكرون، دراسات روائية في السيرة الذاتية والمكان، مرجع سابق، ص 245

(3) الرواية، ص 131

(4) الرواية، ص 131

جبال الدنيا متّجهة نحو الشام، و يقال أيضا أن بداية الدنيا من هناك... إذن فالشام المدينة و الجغرافيا و الإنسان كانت تنسج منذ زمن بعيد خيط الحرير و بيت الشعر و مفرش الإيمان و زاوية العبادة." (1) فالراوي هنا يؤكد على عراقة و أصالة هذه المدينة، و على أنّها مقصد الجميع .

و يتساءل الراوي عن علاقته بدمشق و مدى تعلّقه بها فيقول: "فماذا بيني و بين دمشق هذه السّاكنة عمق الروح... هل هي حكاية قديمة تشدّني إليها انشداد الذكرى الكريمة... هل هي نغمة عتابا على نرى جبال النبك تحفر أخايدي بدمع الشوق... هل هي التاريخ الزاخر بالإيمان و الجمال و الرشاد"(2)

ثم يجيب عن تساؤلاته قائلا: " دمشق تتصدر القائمة علامة مضيئة بليل الزمن، و أنا أرحل بين بوابات الدنيا شعاعا من تعب...أبحث عنها بين الأمصار و البلدان... هي إذن دمشق مدينة المدينة... قصيدة القصيدة جوهرة الله بقلب الكون... من سار على دربها أحبّها و من أحبّها عشقها وتقانى في حبّها وزارها لمرتين أو أكثر... كلّ من تغنوا بسحر دمشق، كلّ من خلّدها في الشعر والتاريخ يحملون بين حناياهم نارها المقدسة و ذكرها الباقي"(3)

● باريس:

باريس العاصمة الفرنسية و هي من أجمل المدن الفرنسية، و قد عرفت هذه المدينة في الأدب العربي بعاصمة الجن و الملائكة، و قد اشتهرت بأماكنها السياحية، و الراوي قد زار المدينة مرات عديدة حيث ذكر في الرواية: " ثم العودة الرابعة لباريس.../ديسمبر جانفي شهري الموت... هذه المرة سكن البرد مني العظم و المفصل... في هبة عاجلة في دوامات

(1)الرواية، ص155.

(2)الرواية، ص129.

(3)الرواية، ص129، 130

الليل النادف رطوبة و قساوة... تحت مصابيح النور الباريسي بأمسية مغردة عصر المنافى... (1)

فقد اشتهرت باريس ببرودة الطقس في فصل الشتاء و انخفاض كبير في درجة الحرارة رغم ذلك كانت مقصدا للسياح الأجانب.

و قد كانت فلسطين حاضرة في الرواية بمعظم مدنها، رغم أنّ الراوي لم يزرها، و هذا لشدة تمسك الجزائري بالقضية الفلسطينية: " لكن الأسماء تكبر مرة أخرى، تتجاوز الانطباعات الأولى لرجال المخابرات و الجمارك و تنسى في طيبة العربي تضيق الخناق على العربي، تنسى مثلما نسي الجميع بيت لحم و القدس و يافا... " (2)

و ذكرها في موضع آخر حيث يقول: " بمدينة ستراسبورغ تتوضح صور المشرق العربي في هيئة شيخ يتلو في الصباحات البكر تحت شمس حانية، يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم... لكن صورة الشيطان تتحول، تتمرس كاللعنة بيافا و حيفا و بيت لحم... " (3)

• الشارع:

يعد الشارع جزء لا يتجزأ من المدينة، و أحد العلامات المكانية البارزة فيها، تنفتح عليه الأبواب و تتحرك من خلاله الشخصيات، فهو مكان مرورها و توقفها و انطلاقها من جديد، فهو الحيز الذي يمكنها من أن تمتلئ بالعالم قبل أن تلج مكانها المغلق (البيت). (4)

(1) الرواية، ص 118.

(2) الرواية، ص 97.

(3) الرواية، ص 111.

(4) خالد حسين، شعرية المكان في الرواية الجديدة إدوارد الخراط أنموذجا، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، د ط، د ت، ص 85.

و كثيرا ما مرت الشخصية المحورية الساردة للأحداث في الرواية على عدة شوارع في مدن عدة منها: " ينطلق الموكب من ميدان التحرير أو العتبة متفرعا عبر شوارع طويلة، كل شارع يؤدي إلى وطن: شبرا، القناطر الخيرية، حدائق القبة، الكفر... " (1)

فالراوي هنا يتوغل في شوارع القاهرة التي ضمنها الحافلات ويصفها.

و يصف في موضع آخر شوارع باريس صباحا قائلا: "باريس مرة أخرى، الفصل بداية الشتاء، الشارع ماركس دومورا... العاشرة صباحا، الشمس تلوح داخل المقهى التنظيف... حروف الجريدة العربية تسطع، الرواد قليلون، أغلبهم يقرأ." (2)

• الحي:

هو مكان يضمّ عدة سكنات لعدة عائلات و كلّ عائلة لها سكنها الخاص، فالطرق و الأحياء أمكنة عامة تمنح الناس حرية الفعل و إمكانية التنقل و سعة الاطلاع و التبدل، لذا فهي أمكنة انفتاح على العالم الخارجي، تعيش دوما حركة مستمرة تؤدي وظيفة مهمة، فهي سبيل الناس إلى قضاء حوائجهم. (3)

و عند زيارة محمد العيد بهلولي لمدينة القاهرة ذهل عند رؤيته لل بنايات في الدرب الأحمر حيث يقول: "أما في الدرب الأحمر، فقد بدت ظواهر الصدام على الأرض و في وجوه البشر و الأشياء و الغمام، أحياء سكنية مكتظة اكتظاظ الخلايا في الجسم الحي، مواد بناء فقدت ألوانها الأولى، كلّ شيء يبدو متهاكاً مترباً، نوافذ مشققة شاربة للرتوبة." (4)

(1) الرواية، ص 88

(2) الرواية، ص 122

(3) شريف حبيبة، بنية الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص 244

(4) المرجع نفسه، ص 244

● البحر:

هو أكثر القوى الكونية مهابة و جمالا وهو مكان لا متناهي واتساع هائل ومصدر رزق وحياة للإنسان، شغل البحر اهتمام الأدباء و الشعراء فانتهبوا إلى سحره و جماله وعظمته كما شغل الروائيين أيضا. (1)

فقد دهش الراوي عند رؤيته للبحر أول مرة عند زيارته للجزائر العاصمة في سن الحادية عشر: " إنَّ السفر والارتحال كان الهاجس الذي سكنني وأنا طفل، ثم و أنا شاب و كهل.... لقد سافرت في سن الحادية عشرة لأول مرة من قريتي إلى الجزائر العاصمة ... لا تسأل عن حيرتي و أنا أقف على عتبات البحر في مشاهدة غير مسبقة... أرعبني بزرقته و اهتزازه المخيف... " (2)، و يقول أيضا: " ذلك ما يدهشني في البحر تلك القوة الهائلة في التشكل اللون و الامتداد...إنه معلمنا في الهدوء و الثورة ... يظل ذلك المعالج الكبير، بملحه تبرأ الجراح، و من دهنه يتزود الجسم بالتغذية و النعومة... " (3) و يدل البحر هنا على الخير، الخصب التأمل، الحب، الجمال، المتعة، الفرح، الاكتشاف.

● الغابة:

هي كنز من كنوز الطبيعة، ومنحة إلهية منحها الله لنا لتعم فوائدها علينا، و هي تجمع الكثير من الأشجار الخضراء، و تعتبر الرئة الطبيعية للأرض، و هي جزء مهم و حيوي من النظام البيئي الذي نعيش فيه، و أيّ مساس بها يعتبر سببا لاختلال هذا التوازن.

و ورد ذكر الغابة في الرواية في حديثه عن رفاقه و وصفه لحالتهم: "تلتفت باحثا عن مصدر الصوت تحديق بمنعطف الغابة... تبدو لك الجماعة متحلقة... تعرف أغلبهم... كان

(1) شريف حبيبة، بنية الخطاب الروائي، مرجع سابق، ص244.

(2) الرواية، ص40.

(3) الرواية، ص40.

عبد الله كعادته في الأماصي الحزينة يلتجئ بغابة السرول، يجلس على نصف طوبة... الكأس جماعية تدو من فم إلى فم...⁽¹⁾ فكان الروائي و أصحابه يتخذون الغابة متنفسا لهم في المساء.

● الصحراء:

تمثل الصحراء بمساحتها الشاسعة و عدم وجود العمران على أرضها مكان مفتوحا، يوحي بالاتساع و التحرر لا يخلو الأمر من مشاعر الضيق و الخوف، لاسيما إذا كان المكان مفتوح في أمكنة الشّتات و المنافي.⁽²⁾

و ينتقل بنا الراوي من الغابة و نسيمها العليل إلى الصحراء و شمسها الحارقة يصف قساوة الجو قائلا: " مضت ستة أشهر في طبرق، على حدود مصر لبيبا، كانت البناءات تنكس الرمل صاعدة وسط متاهات صحراوية صفراء قاحلة، صهد الجنوب، ريح قاسية تهب مشبعة بنثار التراب و الحصى الرقيق، الشمس عمودية خارقة... العطش جفاف الحلق، احمرار العيون تحت زوابع الغبار، الثوب الأزرق المجرود يتشرب العرق الناضح...⁽³⁾ " و يقول أيضا: " ذقت العطش المر بين بوابات الجمارك و حراس الحدود قطعت آلاف الكيلومترات عن طريق L'auto-Sop في الصحراء الليبية و في أرض الخلاء بين الأردن و الكويت والعراق...⁽⁴⁾ " و قد دلت الصحراء هنا على التيه و الضياع و العطش و الحرارة.

(1) الرواية، ص26

(2) حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية الفلسطينية، من منشورات مركز أوغاريت الثقافي، رام الله، فلسطين، ط1،

2007، ص166

(3) الرواية، ص 55

(4) الرواية، ص39

2- الأماكن المغلقة:

و قبل دراسة الأماكن المغلقة لابد أن نعرف المكان المغلق، "... فهو يمثل غالباً الحيز الذي يحوي حدود مكانية تعزله عن العالم الخارجي، و يكون محيطه أضيق بكثير بالنسبة للمكان المفتوح، فقد تكون الأماكن الضيقة مرفوضة لأنها صعبة الولوج، و قد تكون مطلوبة لأنها تمثل الملجأ و الحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيداً عن صخب الحياة.

و بعد أن عرفنا المكان المغلق، جاء وقت الدراسة و التحليل لأهم الأماكن المغلقة في رواية "رحيل" لمحمد العيد بهلولي.

● الغرفة:

من الأماكن المغلقة و هي جزء من أجزاء و وحدات المنزل أو البناء، و هي الحيز و المبنى المخصص للجلوس أو النوم، و لها معنى عظيم في القرآن الكريم، و الغرف تعني منازل الجنة لقوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿أُولَئِكَ يَجْرُونَ الْعُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَ يَلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَ سَلَامًا﴾. (1)

و قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ الْعَامِلِينَ﴾. (2)

و قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُفَرِّكُمُ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمَلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَ هُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ﴾. (3)

و الغرفة مكان مغلق يجد الإنسان فيه ملاذه الآمن الذي يشعره بالخصوصية و الاستقلالية بعيداً عن العالم الخارجي، و الغرفة مكان مغلق للانزواء و الانطواء بعيداً عن

(1) سورة الفرقان، الآية 75.

(2) سورة العنكبوت، الآية 58.

(3) سورة سبأ، الآية 37.

أعين الناس، إذا كان يعاني من الحزن و الاكتئاب، و في هذه الحالة تكون الغرفة كاتمة لأسراره، و إعادة شريط الذكريات من أرشيف الماضي و الطفولة.

و جاء لفظ الغرفة في قول السارد: (غرفة مزدوجة بسريرين أحدهما كان محتلا من طرف شخص مجهول الهوية، يغطي رأسه ببطانية و يغور في نوم عميق، كانت الغرفة ضيقة بها خزانة قديمة و نافذة مغلقة).⁽¹⁾

و دلالة المكان هنا عرف الكاتب الغرفة على أنها مزدوجة، مع وجود شخص آخر في الغرفة، مما يجعل الكاتب لا يحس بالحرية و الأريحية ضف إلى ذلك أنها ضيقة و بها أثاث قديم و نافذة مغلقة تدعو إلى الاستياء الاختناق، و لكن إحساسه الشديد بالتعب النعاس جراء السفر يجعله يستسلم للأمر الواقع و هو آخر قسط من الراحة و النوم، ليستطيع مواصلة الرحلة الطويلة.

● الجامعة:

من الأماكن المغلقة و هي مجموعة من المعاهد و الكليات تابعة للتعليم العالي و البحث العلمي، و هي المرحلة الحاسمة لاستكمال شهادة البكالوريا بعد المرحلة الثانوية للدخول إلى الحرم الجامعي، هذه الشهادة التي تؤهله للحياة العملية بعد أن تعلم الطالب الاستقلالية و الاعتماد على النفس، و هي فترة اختبار الطالب لاستكشاف قدراته و مواهبه و مواجهة الحياة بعيدا عن رقابة الأسرة و مرافقتها له، ليتعرف على أصدقاء جدد من مختلف الولايات و البلدان، و اكتساب ثقافات و معارف جديدة، بما يعزز الروابط الاجتماعية و خلق نوع من التقارب و التآلف الثقافي بين الشعب الواحد أو الشعوب الأخرى.

(1) الرواية، ص51.

و الجامعة تدل على المستوى الثقافي و العلمي و الفكري العالي و الرقي الأخلاقي، و يوظف الكاتب الجامعة في قوله: (لقد اكتشفت جانبا من ذاتي و من الآخر، بفضل الارتحال تعلمت أشياء لا توفرها الكتب و الجامعات).⁽¹⁾

و دلالة الكاتب هنا واضحة باعتبار أن السفر و الترحال يعلم أكثر من الجامعة التي و مدرسة الحياة فيها الكثير من الدروس و العبر نتيجة المغامرات و التجارب التي يخوضها الإنسان في الحياة، فالسفر يعني الجانب الآخر ليكتشف الإنسان ذاته و الآخرين، و يخرج بنتيجة مفادها أن الإنسان مهما تعلم من الجامعة و ما تلقاه من علوم و معارف على مقاعد الدراسة في هذه المؤسسات العلمية بمختلف أطوارها و تخصصاتها، و بين طيات الكتب التي تبقى مستوحاة من تجارب و أفكار الآخرين لأنّ الكاتب يريد أن يغرس فينا روح المغامرة و حبّ التجوال و الترحال و السفر لما له من متعة و فائدة و اكتشاف جدير من اكتشافات و ثقافات المدن و الولايات و الجامعة مرتبطة بعمر و سنوات سحيقة لكن الحياة مرتبطة بعمر الإنسان كله حتى الممات، فكلما زاد الإنسان في البحث عن معارف جديدة و سافر كثيرا زاد رصيده في المعرفة و اتّضحت الرؤية لديه.

● المدرسة:

هي مكان مغلق، و مؤسسة تعليمية تربية تابعة لوزارة التربية و التعليم، منها يتلقى التلاميذ العلوم و المعارف، و يتعلمون مبادئ القراءة و الكتابة و أصول التربية، و هناك ثلاثة أطوار، الطور الأول و هو الطور الابتدائي و هي مرحلة إجبارية و مجانية في القانون الجزائري، يمر التلميذ بها إلى المرحلة المتوسطة ثم الثانوية.

و المدرسة مكان آمن يحمي الأطفال من المخاطر الموجودة في الخارج و تقويم و تعدل سلوك التلميذ من الانحراف الذي يتعلمه في الشارع.

(1) الرواية، ص41.

و يتبع هذا في قول الكاتب: "كل الأطفال المطرودين من المدارس، كل العاطلين و المعطلين، كل الركاب المحمول على ظهر البسطاء يؤدي فيها إلى حدوث الواقعة".⁽¹⁾

يتفق الجميع على أنّ المدرسة مكان للعلم و المعرفة و الأخلاق و التربية الصحيحة و السليمة، مكان لانتقاء التلميذ تحت رقابة القائمين كالطاقم التربوي و الإداري، و دلالة الكاتب في هذه المقولة أنّ أي شخص يطرد من المدرسة يكون مآله التشرّد و الانحراف و ضياع مستقبله، و الرمي في المجهول الذي لا يرحم و الذي أشار إليه بحدوث الواقعة و هي الجريمة و الإدمان و الانتحار و أقصى ما يتخيله الإنسان من أخطاء و أخطار.

● المسجد

هو مكان مغلق مخصص لدور العبادة الذين يعتقدون الدين الإسلامي، و تقام فيه الصلوات المفروضة، و سمي مسجداً لأنه مكان للسجود لله سبحانه تعالى، و فيه درس العلوم الدينية و الشرعية والفقهية، كجامع الأزهر بمصر و جامع الزيتونة بتونس و جامع القيروان.

هذه المعالم الإسلامية و المنارات العلمية التي تستقطب الكثير من طلاب العلم عبر العالم الإسلامي منذ زمن طويل، معرفة بشعاعها الثقافي و الحضاري.

و يطلق اسم مصلى على دور العبادة في المدارس و الجامعات و محطات المسافرين و المطاعم و المقاهي و غيرها من الأماكن المخصصة للراحة من عناء السفر و الرحلة لأداء الصلوات الخمس.

فالرجل المسلم لا ينسى صلاته أبداً حتى و لو كان خارج الديار، فالمساجد كثيرة عبر العالم بعمرانها الإسلامي و زخرفتها العريقة، ينطق و يستنطق الحضارات عبر الأزمنة،

(1) الرواية، ص 27.

فوجد الكاتب يوظف المساجد في قوله: (الساعة الرابعة صباحا تتطلق مساجد القاهرة تسبح بحمد السماء، آذان الفجر ينبثق متداخلا من مئات المنارات).⁽¹⁾

و دلالة المسجد هنا وقت صلاة الفجر، فالقاهرة عامرة بمساجدها التي على الأرجاء، تعج بحمد الله وتكبيره، و تدعو المصلين لأداء صلاة الفجر، حيث المآذن في الصباح الباكر حيث الهدوء و السكينة تزيدها رونقا و جمالا أصوات المآذن و أضواء المنارات.

ثم يحدد الكاتب أحد أهم المعالم الإسلامية الضاربة في عمق التاريخ والحضارة التي عرفت بها مصر العربيّة، باعتبارها منارة لأخذ العلوم الدينية و مقصد العلماء و طالبي العلم، و تجلى ذلك في قول الكاتب: "كانت القراءات القديمة تنفر عنها غبار النسيان شل جامع الأزهر".⁽²⁾

فالكاتب أعطى إشارة واضحة على تحدي الأمكنة للأزمنة، حتى لو مضى عليها الزمان، و من هذه الأمكنة جامع الأزهر و قراءاته القديمة عاشت تقاوم رياح الطي و النسيان، فأبي زائر لهذا المكان لابد أن يقف وقفة إجلال و إكبار لهذا المعلم الإنساني و المنارة العلمية التي ظلت صامدة في وجه أعاصير التقدم و المدنية، باعتباره جزء من الحضارة الإسلامية، هذا الجامع الذي كان مركز إشعاع لكل الطلبة داخل مصر و خارجها، و الجزائر من البلدان التي كانت لها بعثات علمية لها أمثال ابن باديس و محمد عبدو و غيرهم.

و المساجد من أعظم الأماكن على وجه الأرض، فالمسجد له قدسيته و حرمة، لأنه بيت الله عز و جل الذي يذكر فيها اسمه دائما، و هو المكان الذي يجتمع فيه الملمون لأداء أعظم فريضة و هي فريضة الصلاة، عماد الدين كله، و قد عرفت الحضارة الإسلامية العديد

(1) الرواية، ص86.

(2) الرواية، ص87.

من المساجد ذات الفن المعماري الأصيل و المنيع بزخارفه و أشكاله الفنية المستوحاة من روح الثقافة الإسلامية.

● المقبرة

هي المكان المغلق الأبدي، و خاتمة الإنسان و نهايته في هذه الدنيا، فالمقبرة تعني المكان الموحش و المخيف، و هي المكان الذي يرقد فيه الإنسان بعد موته و هي في الحقيقة المكان الآمن و الصادق الحقيقي، و أنّ الإنسان مهما عاش مآله في الأخير هذه الحفرة، حيث لا ينفع المال و لا الجاه و لا السلطة و لا كثرة الأولاد التي تلهينا عن الكثير من الأمور و الأعمال التي تذكرنا بالآخرة، لقوله تعالى في سورة التكاثر: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾. (1)

فزيارة المقابر و تذكر الأموات و الدعاء لهم من سنن هذه الحياة حتى نأخذ الدروس والعبر، و أنّ هذه الدنيا زائلة و فانية، فالمقبرة هي دار الحق و السكون، و الهدوء بعد عناء الدنيا و منغصاتها، و يظهر هذا المكان في قوله: (كانت المقبرة ذات سور عال من البنيان أربعة أبراج على الأركان تأخذ شكل منارات دائرية يكسوها البرود، دخلنا عبر باب الحديد الفولاذي، جلال المكان يغمرنا بهيبته... أموات الحرب البهيجة ينامون تحت الرصاص و الزنك و الرخام... الأسماء المكتوبة على حجر الصوان شيء غريب يبعث على التأمل في مهزلة الإنسان و أين تصل به مخالب الوحشية، يقتل و يقتل، يخدم جثة هامة تحت التراب و أعداد حسابية في كتب التاريخ... شيء نذكره فيما بعد مرة بالطولة و مرة بالحضارة تزهرق الروح و ليس دائما تزهرق باسم الحضارة). (2)

و في هذا المقطع السردي يعرفنا الكاتب بشكل المقبرة الخارجي و المبني و بابها الحديد الفولاذي، و الدخول إليها يجعل الزائر في ذهول من جلال المكان و هيبته، هذا

(1) سورة التكاثر، الآية 02.

(2) الرواية، ص53-54.

الوصف الدقيق للمقبرة التي تقع في مدينة طبرق الليبية، و هذا ما جعل الكاتب يتعجب و يستغرب من كثرة الأموات نتيجة الحرب الوحشية التي وصل إليها الإنسان و هو إبادة أخيه الإنسان دون رحمة أو شفقة و الذي تحول إلى جثة هادمة عبر الركام، سواء كان الإنسان قاتلا أو مقتولا، فهناك أرواح كثيرة تزحف باسم البطولات و الحضارة و الحضارة بريئة من كل هذا، و تبقى الأسماء خالدة على حجر الصوان، و التي يسميها الكاتب سواء في حق الإنسان أو التاريخ أو الحضارة، هذه الروح التي أصبحت رخيصة تزهد بسبب أو بغير سبب، و مهما السبب حتى و لو كانت الحرب الأهلية فما كان على الإنسان أن يعرض نفسه للموت والخطر.

لكن ما يؤخذ على كلام الكاتب و هو رجل عربي ملم حافظ لكتاب الله، أن هؤلاء الأموات قد يكونوا أموات شهداء الواجب و الوطن حتى و لو كانت هذه الحرب أهلية، فيمكن أن يموت الإنسان من أجل قضية الدفاع عن الوطن، الدفاع عن الدين، عن الشرف، عن الكرامة، و كلها صفات عرف بها الرجل العربي الأصيل.

و الجهاد في سبيل الله واجب على كل مسلم، فالشهاد له مكانة عظيمة عند الله سبحانه و تعالى، لأن الشهداء هم أحياء عند ربهم يرزقون لقوله تعالى في سورة البقرة:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾. (1)

و قوله كذلك في سورة آل عمران: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ﴾. (2)

فالشهداء أحياء عند الله سبحانه و تعالى حتى لو كانوا أمواتا و أصبحوا جثتا هم أحياء ينعمون بالجنة و يفرحون بما هم فيه.

(1) سورة البقرة، الآية 154.

(2) سورة آل عمران، الآية 169.

فالميت يمكن أن يموت موتة واحدة و الحي يمكن أن يموت ألف مرة، و هناك من يموت لكن بسيرته العطرة و ذكراه الطيبة تبقى حية في القلوب كموت الآباء و تبقى الأمجاد و الفضائل و الإنجازات و الأعمال الصالحة الرفيعة.

● الفندق:

من الأماكن المغلقة المعدة للإقامة المؤقتة مقابل أجر، و هو وجهة السياح و المسافرين، و فيه الخدمات المقدمة لهؤلاء النزلاء بداية من الإيواء و الإطعام، و غيرها من الخدمات حسب نوعية و مكانة الفندق، أعلى فندق حقوقه خمس نجوم فيكون مقصد الأغنياء و الشخصيات البارزة، أمّا عامة الناس و الشعب فتكتفي بثلاثة نجوم أو أقل.

و أحيانا ظروف السفر تجبر المسافر على المبيت في أي فندق و هنا الوضع اضطراري و ليس اختياري، و يوظف الكاتب كلمة الفندق في قوله: (نزلت أول مرة بفندق بيروت الكبير مساحة "المرجة" بمدخل الفندق صادفني الصديق الجزائري المقيم منذ مدة بأرض الشام، أعرفه شاعرا بالجزائر).⁽¹⁾

و هنا يعرف الكاتب الفندق الذي نزل فيه لأول مرة، و الكاتب هنا في رحلة بحث لاستنطاق المدن و البلدان، لا بد له من التوقف و أخذ قسط من الراحة حتى يواصل هذه الرحلة الطويلة للتعرف على عدد كبير من الأمكنة و توثيقها حتى يقدمها للقارئ بصورة فنية واقعية، و تلعب الصدفة دور المثير في هذه الرحلة يلتقي الكاتب بصديق له من الجزائر و هو كذلك شاعر، فإذا التقيت بصديق لك في ديار الغربة، هو حنين من نوع آخر و كأنك التقيت بروحك، هذا الشعور النبيل و الفرحة و السعادة الغامرة و الأمان الذي تحسه مع الصديق أكثر من الغريب لاستعادة شريط الذكريات و يمكن أن تتغير القناعات و المواقف و التصورات و تنطبع بطباع البلد المضيف.

(1) الرواية، ص122

فالجميل في هذه الرحلة أن يتعرف الكاتب مع أشخاص جدد و ثقافات أخرى، و لكن هذا لا يمنع من أن يلتقي بصديق من أرض الوطن حتى يعيد مع الذكريات و الحنين و الدفاء إلى أحضان الوطن الأم.

● السّجن:

هو المكان المغلق المنعزل عن المجتمع و الناس لأتّه يضم اللصوص و المجرمين و المنحرفين، و هذا لا يمنع من أن يدخله الأبرياء و الحقوقيون الذين يدافعون عن مبادئهم و حقوق الغير، و السجن في وقتنا الحالي و التكنولوجيا و العولمة أصبح بإمكان المسجون أن يواصل دراسته و يحصل على الشهادات العليا، و أن يتعلم اللغات وكذلك أن يتعلم فيه الحرف و مكان يعدله السلوك، و السجن يمكن أن يكون أحيانا لمن ضاقت بهم السبل و ظلمتهم الحياة.

و نجد لفظة السجن في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾. (1)

و قوله تعالى كذلك: ﴿يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابُ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾. (2)

و السّجن كذلك يدخله الأبرياء و الصادقين و الصالحين و أصحاب الرأي و الفكر و القيم و القضية و الشرف، و ما أكثر المظلومين في السّجون.

و يوظف الكاتب كلمة السجن في قوله: (يقولون: السجن مثل داره!) (3)، و دلالة السّجن هنا تدل على الدخول المتكرر للسّجن حتى أصبح مثل داره و ليس غريبا عنه و

(1) سورة يوسف، الآية 33.

(2) سورة يوسف، الآية 39.

(3) الرواية، ص96.

يعتاد عليه و يتأقلم معه، فالدخول إلى السجن أو الخروج منه أصبح شيئاً عادياً و اعتيادياً، لكن الكاتب هنا ينفي الكلام عنه بقوله يقولون، بمعنى كسامع وليس كشاهد و هنا الكلام يمكن أن يكون صحيح أو غير صحيح.

و الكثير من المتشردين يفضلون الدخول إلى السجن كمأوى لهم، لأنه ليس لديهم مكان يأويهم من برودة الشتاء و حرارة الصيف فتجدهم يقتربون الجرائم حتى يدخلوا السجن ليجدوا فيه المسكن و المأكل و الشرب، و لأنهم لديهم سوابق لا يوظفون في المؤسسات و الشركات العامة إما يعملون عند الخواص أو يصبحون عاطلين عن العمل.

3- الأماكن المتحركة (المتقلة) :

تتركز في مخيلة الراوي مسألة المكان كواحدة من المشكلات الفنية المعقدة، حيث يلجأ و بدوافع اجتماعية إلى اختيار مكان غير مستقر، مكان متحرك محاولة منه لتجميع عدة أمكنة من خلال حضور الشخصيات، وغالباً ما يكون المكان المتحرك موظفاً لغرض فكري سياسي بالدرجة الأولى. (1)

سرد لنا محمد العيد بهلولي في رواية "رحيل" تجربته في السفر إلى العديد من دول العالم، و من بين وسائل النقل التي سافر عبرها و الوارد ذكرها في الرواية نذكر:

● السيارة:

تعتبر السيارة من وسائل النقل الأكثر شيوعاً التي يستخدمها الناس للرحلات القصيرة و الطويلة، حيث تتمتع بالعديد من المزايا كسهولة الاستخدام و الراحة، و قد ورد ذكر السيارة في الرواية عندما سرد لنا الراوي رحلته بمنطقة بلودان بسوريا في ليلة تليجية حيث يقول: "و كانت الليلة الثلجية بين دمشق و بلودان، الطريق بياض في بياض، ثلوج كثيفة تهبط

(1) ياسين النصير، الرواية والمكان، مرجع سابق، ص132

كاللحاف الأبيض، انبهقت الرؤية وسط السطوع، لا شيء يرى... ما عادت السيارة قادرة على الصعود، كانت عجلاتها تنزلق على الثلج المضموم والهيكلي بمكانه، هنا وهناك لكنها لا تتقدم شبرا واحدا، كان محمود يحاول ما استطاع أن لا يضغط على الدواستين... (1) و قد تكبد الراوي و السائق معاناة السفر في منطقة جبلية تتساقط بها الثلوج ليلا.

و قد ذكر الراوي السيارة أيضا عندما وصف أحد شوارع عمان قائلا: "الناس يسيرون عبر الشارع الطويل ذهابا و إيابا... سيارات تمر في آلية باردة مزامير المرسيدس واضحة أضواء فوانيس ترتعش مع هبوط المساء الأدنى المتلعثم..." (2)

● الباخرة:

تعد الباخرة من وسائل النقل التي لا زالت تحظى بشعبية بين الكثير من السياح و المسافرين، رغم أنّ السفر على متنها يستغرق دائما عدة أيام للوصول إلى وجهة المسافرين. سطح السفينة ميدان فني، حيث ينعكس على أرضيته كلّ الحاضر بفعله و تناقضاته و مؤامراته، سطح السفينة المرئي بالأضواء يكون مقاسا بحركة فالأفعال الخاصة ترى على وضوح من الناس، أما الأفعال النفسية و العلاقات المتشابكة فميدانها الغرف. (3)

و قد سافر الراوي من بلجيكا إلى هولندا على متن الباخرة، فوصف حركة الباخرة قائلا: "كان بحر الشمال في تلك العشية رماديا غارقا، تحركه ريح رخية باردة المسافة بين ميناء أوسطوند وأقرب ميناء هولندي تقارب الساعتين، الباخرة تمخر الماء الرذاذ يتطاير يرشق

(1) الرواية، ص152

(2) الرواية، ص98

(3) ياسين النصير، الرواية و المكان، مرجع سابق، ص132

زجاج النوافذ الكبيرة، تبتعد عن ميناء أوسطوند تترك المدينة خلفها، تتحرك تحت فوانيس المساء، تبدو أوسطوند عالية بيضاء تحت غلالة من البخار الضوئي...⁽¹⁾

و قد ذكرت الباخرة أيضا حينما وصف الراوي الحياة على ظهر السفينة التي سافر على متنها: "كان المقصف النابت على ظهر الباخرة شبيها بمقهى كان واسعا بطاولاته المثبتة و كراسيه الجلدية الوثيرة...الحياة به حافلة دافئة... ليل يجري مسدل الصفات، الدخان الأسمر و الدفاء ... الرؤوس الشقراء و الكاسات المحببة ... و هذا الشيء الآلي المتحرك بين ضفتين، كان المقصف دافئا، تشعر و كأنه مقام بيت على اليابسة..."⁽²⁾

و يبدو أنّ الراوي قد استمتع برحلته عبر السفينة، حيث أنه أعجب بالحياة على ظهرها فراح يسرد لنا تلك الأحداث.

● الطائرة:

تعتبر الطائرة من وسائل السفر السريعة التي تختصر المسافات و الوقت أكثر من الحافلة أو السيارة أو الباخرة، و قد انتشر السفر عبر الطائرات بشكل كبير بسبب الميزات التي توفرها شركات الطيران في الوقت الحاضر، حيث يمكن للطائرات السفر من مدينة إلى أخرى في غضون ساعات. وقد وردت في الرواية في قوله: "من مطار القاهرة الدولي، تحلق الطائرة في سماء مصر، معرجة على شكل نصف دائرة عملاقة، لتأخذ الاتجاه صوب عمان عاصمة المملكة الهاشمية، حلقتنا بعد الظهر و وصلنا مطار عمان العصر..."⁽³⁾ فالراوي سافر من القاهرة إلى عمان عبر الطائرة حيث استغرقت رحلته بضع ساعات.

و قد ورد ذكر الطائرة أيضا عند ما تحدث الراوي عن رحلته إلى دمشق ليلا عبر الطائرة: "مدينة تحل عند ذكر مدينة، يلتئم جرح ليتجدد بالتذكّار جرح، كتاب الشوق يفتح

⁽¹⁾ الرواية، ص104

⁽²⁾ الرواية، ص105

⁽³⁾ الرواية، ص96

أول صفحاته... مدينة المدينة تشرع عتباتها، كان الوقت نصف الليل، الطائرة السورية تحط بمطار دمشق الدولي و على الأعماق ينزاح جبل الجليد... يتداعى قطرة قطرة... (1)

4- دلالة المكان:

• الشارع:

أشار "شاكر النابلسي" إلى المكانة البارزة التي يحتلها الشارع في الرواية العربية، فأكد أن للشارع جمالياته المختلفة باعتباره مساراً وشرياناً للمدينة، و في الوقت نفسه المصب الذي يصب فيه الليل و النهار أشغالهما و تجلياتهما فهو المسار و المصب في آن واحد. (2)

يحظى الشاعر في رواية رحيل باهتمام الكاتب، فقد جعل منه عتبة مهمة من عتبات الرواية، حيث أنه وصف لنا أغلب شوارع العواصم والمدن التي زارها و الحركة فيها.

يأخذ الشارع في هذه الرواية بعده الدرامي بما أثاره الراوي من مشاعر حزن و ألم و هدوء، خاصة الشوارع الجزائرية في المساء أثناء فترة العشرية السوداء، فقد أضحت هذه الشوارع في حداد تام: "بنهاية النهار تبدو الشوارع هاربة... الناس حزاني ساهمين كأنهم فرغوا لتوهم من الدفن و التشييع... تفترقان أنت و صديقك... صمت مؤلم يؤطر كما تودعان المقهى و بركاهم و عبد الحميد الوطني تمشي منفرداً بآخر الحي إلى الضاحية." (3)

أما الشارع الباريسي في رواية "رحيل" فقد وقف ليعبر حجم التفاوت الحضاري بين الوطن و العالم الغربي، حيث يصف الراوي شوارع باريس قائلاً: "رحل المساء تحت الضباب و الدثّ الثلجي، تعود البروكة للشوارع و الساحات بأسفل المنحدر البسيط سيارات قادمة

(1) الرواية، ص143

(2) شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط 1،

1994، ص95

(3) الرواية، ص25

بأضوائها و أخرى هاربة، تبعث بأشعتها العمودية المتكسرة على سطوح الأرصفة اللامعة...
باريس كأنها تقتلنا بالحضارة... و في السر يعلن الجبناء حربهم على النكهة العربية...
باريس آخر الليل ليست مطرا للراحة... تحرك القادمين و اللاجئين و أمراء المنفى رياح
العودة... " (1)

و هذا على عكس الناس في الجزائر إذا خيم الليل يعلنون استسلامهم للموت و
ينتظرونه في عزلة و وحدة قاتلة .

● البحر:

يبرز البحر في الروايات عالما فنيا ثريا يحمل سرّ الحياة و أوفق طافح بالأسرار و
الدلالات. (2)

يحمل البحر العديد من الدلالات الإيجابية فهو مصدر للحياة و الخصب و الجمال،
تستمد منه المدن قوتها و سحر جمالها.

كما يعد البحر بالنسبة للراوي مصدرا للحبّ و البوح و التأمل و اكتشاف الذات و
العالم: "من تونس اليانعة إلى طرابلس خلية البحر إلى بنغازي الجميلة إلى مرسى مطروح
إلى الإسكندرية إلى شط الهوى... كان الصيف يوما يتفجر شمسا شرقية قريبة من القلب
باهظة الحنو... وكان البحر بمرسى مطروح يتجدد بزرقه نيلية فريدة... و للحبّ أقول إنني لم
أر شطا طبيعيا خلابا إلى درجة الفتنة مثل شط مرسى مطروح، مدينة تتوسد جانب الطريق
الوطني المؤدي إلى الإسكندرية، مرسى مطروح الاسم العذب." (3)

(1) الرواية، ص123

(2) أحمد زبير، جماليات المكان في قصص إدريس الخوري، دراسة نقدية، التنوخي، التنوخي للطباعة و النشر، الرباط،
المغرب، ط1، 2009، ص62

(3) الرواية، ص147، 146

● السفينة:

في رواية رحيل كانت السفينة المبحرة من ميناء أوسطوند البلجيكي متوجهة إلى أقرب ميناء هولندي مكانا تجميعيا لشخصيات لا رابطة بينهم سوى أنهم يقصدون مكانا واحدا، و فوق هذا السطح المتحرك كانت ثمة إرادات تتجاوب فيما بينها حيث يأخذ التعارف طريقا للدخول إلى النفس: " كل ما أدريه الآن و أنا أرتوي أنني أقلعت بباخرة من ميناء أوسطوند البلجيكي متوجها إلى أقرب ميناء هولندي، ربما أغلب من بالباخرة يدري وجهته... ربما هذه الرفيقة الطيبة الجالسة بقربي الشاربة بنهم تسأل:

. هل أنت من بروكسل؟

. أنا جزائري

. هل أنت بمفردك؟

قبل الآن كنت وحيدا، أما الآن فلا، ضحكت بذكاء و رقاد...أورقت وحدتي بمصاحبتهما... انتقت الحواجز كاللغة والجنس...". (1)

السفينة المبحرة أوربية الأصل و ليست عربية أو إفريقية، و كان لها ارتباط فكري حضاري بالثقافة الأوربية حيث أشار الراوي إلى بعض مظاهر هذه الحضارة بما فيها شرب الخمر، حيث قال: " الليل يهبط في الأبعاد البحرية الداكنة، الباخرة مضاءة كليلة عرس... الجميع يشرب... يقهقه... أقداح البيرة تفرغ و تملأ... كانت الأمسية بالنسبة إليه جذلي متداخلة بالأزمنة و الأشخاص، العادي أن نتفاهم مع إنسان مختلف، أن نتواصل مع ثقافة مختلفة نتواشح بحميمية... تصوير الملامح رموز تعبير، رمشا ما ابتسامة تكفي لشرح

(1) الرواية، ص107

الداخل...⁽¹⁾ و مع السفينة يوجد البحر الذي شهد هو الآخر نقل الحضارات و تزواج الثقافات.

و لم يكن سطح السفينة منبسطة بل كان متعرجا صاخبا مضطربا متمايلا، كانت الشخصيات فيه منسجمة مع ما يصيبه من اهتزاز واضطراب.

و إذا ما أضفنا النجوم و همس الماء و زرقة البحر و الأضواء و العواصف و المشاعر، نستطيع القول أن سطح السفينة هو الراوي قد أبحر صوب العالم: " كان البحر في تلك العشية رماديا غارقا، تحركه ريح رخية باردة... الباخرة تمخر الماء، الرذاذ يتطاير يرشق زجاج النوافذ الكبيرة، تبتعد عن ميناء أوسطوند... تترك المدينة خلفها، تتحرك تحت فوانيس المساء...⁽²⁾"

(1) الرواية، ص108

(2) الرواية، ص104

خلاصة الفصل الثاني:

و بهذا نكون قد أتينا على نهاية الفصل التطبيقي الذي درسنا من خلاله المكان و دلالاته في رواية "رحيل" حيث تعددت الأمكنة بين أمكنة مفتوحة و أمكنة مغلقة و أمكنة متحركة، حيث كان غرض الراوي من هذا التوظيف والتنويع في الأمكنة في روايته رسم الأحداث التي تساعد القارئ في التعميق و الفهم، كما تنوعت دلالات المكان باختلاف توظيفها في العمل الروائي.

خاتمة

خاتمة:

إن خاتمة بحثنا هي آخر محطة نقف عندها، حاملة معها الأسطر الأخيرة التي أردنا أن تكون حوصلة شاملة مختصرة لأهم النقاط التي سمحت لنا هذه الدراسة التوصل إليها:

- أصبحت الرواية في عصرنا الحالي شكلا من الأشكال الأدبية المهيمنة على الساحة الأدبية فقد استطاعت الرواية العربية عامة و الجزائرية خاصة في أقل من قرن أن تحدث صدى واسعا في منظومة الثقافة العربية المعاصرة إلى جانب الأجناس الأدبية الأخرى.

- يعد المكان الإطار العام للعمل الروائي، و لا بد لأي نص مهما كان جنسه الأدبي أن يتوفر على هذا العنصر، إذ تتجلى أهميته في كونه العنصر الرئيسي المشكل لبنية الفضاء الروائي إذ لا يمكن الاستغناء عنه، فلا وجود للرواية دون مكان.

- ليس المكان الروائي الإطار الذي تجري فيه الأحداث بل هو أيضا أحد العناصر الفعالة في الأحداث، فهو متضمن لجملة من الأفكار و القيم الفكرية و الاجتماعية و الثقافية.

- للمكان دور رئيس في رواية "رحيل"، فقد اعتنى الراوي بتقديمه بطريقة رائعة في انسجام بين المكان و ما يدور في ذهنه من أفكار يود إيصالها للمتلقي.

- إن رواية "رحيل" رواية مكان بامتياز، ليس لأن الراوي وظف جزءا كبيرا منه في سردياته لرصد التفاصيل المكانية، و إنما لكونه عمد كذلك للتنوع في عرض الأمكنة، أي أنه لم ينغلق على رؤية مكانية محددة، و هذا ما نلمسه عبر التنقل الواضح لشخصياته من مكان لآخر.

- استخدم الراوي الأماكن الواقعية في روايته، و لم يرد أي مكان خيالي في الرواية، و كل الأماكن التي شهدت أحداث الرواية موجودة في الواقع تمثلت في تونس و القاهرة و دمشق و باريس و غيرها من الأماكن.
- براعة الروائي في خلق المكان، حينما جسد لنا المكانية بأصغر دقائقها و تفاصيلها، حتى يصل بنا إلى نظرة كلية عامة تعيننا على فهم المكان في الرواية.
- يظهر لنا المكان بأنماط مختلفة في الرواية منها الأماكن المفتوحة و الأماكن المغلقة و الأماكن المتحركة، و تحل الأحداث موقعها غالبا في الأماكن المفتوحة كالشوارع و المدن مثلا فهي جسور تعبرها الشخصيات.
- ساهمت الشخصيات في تكوين المكان و بناءه في الرواية، عن طريق حركتها التي تثبت في المكان حيوية.
- تعددت الأمكنة في الرواية، نظرا لتعدد الأحداث فيظهر لنا دور المكان في تشكيل أحداث الرواية فهو المسرح الذي تجري فيه الأحداث و تتحرك فيه الشخصيات.
- برزت اللغة عند الروائي كوعاء يحمل فيه أحاسيسه و أفكاره، و استخدمها بطريقة سردية تخدم المكان، في أسلوب سهل و بسيط مع اعتماد اللغة المعرفية لوصف بعض الأماكن وهذا ما ساهم في إضفاء بعد جديد للمكان.
- ترك المكان أثرا في نفسية شخصيات الرواية الذي يتراوح بين الإحساس بالراحة و التوتر، و ما يضاف له هو ذلك الأثر الذي يختلج في نفس كل من الراوي و القارئ.
- و في الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا في هذا العمل البسيط، و نرجو من الله عز وجل أن يجعله ضوءا منيرا لغيرنا.

الملاحق

ملحق رقم 01:

ترجمة الكاتب:

محمد العيد بهلولي من الكتاب الجزائريين الذين أبدعوا في فن الرواية، هو من مواليد السادس نوفمبر 1947م بمدينة العلة بولاية سطيف، نشأ في منطقة ريفية و تربي وسط عائلة فلاحية تسترزق من الأرض و الرعي، فرضت عليه الظروف، التوقف عن الدراسة النظامية بعد ستة أشهر فقط قضاها على مقاعد الدراسة، و هو الوضع نفسه الذي كان يعيشه أي طفل جزائري في الريف أثناء فترة الاستعمار.

حفظ الربع من كتاب الله تعالى، هذه الأرضية الصلبة جعلته متمكنا في الكتابة و أدخلته من الباب الواسع إلى عالم السرد و القصة و الرواية لينهل منها الكثير من المفردات و المعاني، التي أكسبته ثراء لغويا⁽¹⁾.

اختر طريقا آخر و هو طريق العصامية و البحث و هو الطريق نفسه الذي انتهجه الكثير من الكتاب و الأدباء في ذلك الوقت، لتفتح له آفاقا أخرى بعد انتقاله إلى المدينة و هو في السادسة عشر من عمره ليزيد من ثرائه اللغوي كثرة المطالعة و قراءة الكتب العربية و الأجنبية.

و قد تأثر نتيجة هذه المطالعة و القراءة بكثير من الكتاب أمثال "جبران خليل جبران و مخائيل نعيمة و طه حسين، و المنفلوطي و مارون عبود و فيكتور هيجو و غور كي، ثم نجيب محفوظ، و من الأدباء الجزائريين الطاهر وطار و مالك حداد و بوجدرة و واسيني الاعرج و غيرهم".⁽²⁾

(1) شامة درويش: حوارات، 9-07-2020م، بتصرف.

(2) عبد العزيز نصيب: جريدة النصر، حوار نشر بـ 20 كانون الثاني، يناير، 2018م.

"بدأ عملية النشر في الصحافة بداية الثمانينات، و كانت عبارة عن منشورات و
خواطر، و أول هذه الجرائد جريدة النصر بالقسم الثقافي مع الكاتب و الإعلامي علاوة جروة
وهبي، ليغرس فيه بذرة الكتابة و الموهبة ثم تتوسع الدائرة إلى جرائد أخرى كالجمهورية و
الشعب و الخبر و أضواء، و مجلة آمال و حوار اليوم السابع، و مجلة المرأة العربية".⁽¹⁾

كانت أولى أعماله و أول إصدار له هو دخان الكوائين، باكورة، مجموعة من القصص
القصيرة من الشركة الوطنية للنشر و التوزيع 1983م و صدرت سنة 1990م، ثم قصة
مواسم الجوع، ثم رواية ندوب المنفى، و أخيرا رواية رحيل الصادرة سنة 2016م، وكذلك
أعمال خاصة بالمخطوطات في الرواية، رحلة خارج السر في أدب الرحلات، و إبداع
الهامش و هي عبارة عن مقالات في الأدب و الفكر، و له شعر كذلك بعنوان وردة الريح.

"نال الجائزة الأولى في أدب التحرير من طرف وزارة الثقافة، سافر عبر 26 بلدا كان
حصادها مادة لنصوصه و كتاباته، و منها رواية رحيل".⁽²⁾

كما كرم من طرف دار الثقافة هوارى بومدين بمدينة سطيف، من تنظيم النادي الأدبي.

(1) الحوار السابق.

(2) غلاف الرواية.

ملحق رقم 02:

ملخص الرواية:

هذه الرواية التي تحمل عنوانا متداولاً لدى الكثير من الكتاب و الأدباء، و هو "رحيل" هذا الاسم الذي عنون به الكاتب الفلسطيني نادر منهل حاج عمر روايته الصادرة عن دار الزمان للنشر عام 2018م الطبعة الأولى قائلًا: "زمنًا ضائعًا لذاكرة تحاول البحث عنهم في سراديبها المغلقة، و رجال يجوبون الطرقات بحثًا عن هوية مفقودة".⁽¹⁾

و نجد كذلك الكاتب "عادل الاسطه" في "الرواية الفلسطينية في المنفى" عبد الرزاق قزيع: مصير الفرد الأعزل في دوامة التاريخ.

فالعنوان "رحيل" يدل على البحث المتواصل سواء عن الذات أو عن الآخر أو عن الوطن أو الهوية، و هذا الرحيل يكون إما اضطراراً أو اختياراً بين الغربة في الوطن أو الغربة خارجه، و مهما كان الرحيل فلا بد من العودة.

و رحيل "رواية المنفى" هي رواية نشرت لأول مرة سنة 2016م من تأليف الكاتب محمد العيد بهلولي و هي من الحجم الصغير تقع في 173 صفحة صادرة عن دار الوطن.

جاء في مقدمة الكاتب مقولة لتوفيق الحكيم: "من استطاع تحرير جسده مرة من عقال المكان، أصابه مرض الرحيل فلن يقعد بعدئذ عن جوب الأرض حتى يموت".⁽²⁾

إنّ اختيار الكاتب محمد العيد بهلولي لهذه المقولة هو مفتاح رائع و موفق لبداية روايته التي تختزل كل المشاعر و الأحاسيس حبّ الاكتشاف و المغامرة، و ما يتميز به من أسلوب جمالي و فني بين ثنائية المكان و الرحيل، ليتحرر الجسد و الفكر و الروح من الجمود إلى الحركة و التنقل و الإبحار في أرض الله الواسعة، حتى يتسنى له معرفة بلدان

(1) رواية رحيل: ذاكرة تحتضر بواقعها، الحياة العربية، 2 ابريل 2019م.

(2) توفيق الحكيم: كتاب شهرزاد، دار مصر للطباعة، ط 3، 1988، ص64.

كبيرة و ثقافات متنوعة حاملا أشياءه البسيطة كحقيبة اليد التي تحتوي على الوثائق الرسمية التي تساعده للمرور بشكل قانوني، و كذلك القلم و الدفتر، لتدوين كل صغيرة وكبيرة.

هذه الرحلة التي لا يدري متى تنتهي لأنها مرتبطة بساعات حياته و دقائق قلبه و يرى الكاتب محمد العيد بهلولي بأنّ الرحيل عبر الأوطان يجب أن يتجسد كحقيقة على أرض الواقع و أن لا يبق حبيس الكتب و النصوص و نسيج الخيال و التخيل بل هو واقع ملموس و محسوس.

و جاء في خاتمة الرواية تماس: " يحدث بين الكتابة و الرحيل أن يتضوع الوطن في المنفى عبقا بالخبز و الملح و العشرة.... في حضرة قهوة صباحية عامرة بحنان المكان، هذا الذي نحمله معنا في الحل و الترحال.

ما أروع العودة إلى الركن و الصاحب.."

ما أدفا تضاريس البلاد..

فالكاتب في الأخير يتوصل إلى نتيجة مفادها أن الإنسان قبل أن يكتشف الأماكن و العوالم لا بد أن يكتشف ذاته أولاً، و مهما طال به الرحيل و السفر لا بد من العودة إلى الأرض و الوطن الذي يحمل معاني الدفاء و الأمان و الألفة التي تغنيه عن كل البلدان.

رواية رحيل هي عصارة تجاربه و رحلاته وأسفاره عبر بلدان كثيرة، و هي بمثابة سيرة ذاتية لحياة الكاتب من الطفولة و المرحلة العمرية الأولى للمرحلة التي يعيشها الآن و تلخص ذلك في قوله: "أنا ابن منطقة زراعية خصبة، أنحدر من عائلة فلاحية رعوية عشت 15 سنة من الحرث و الزرع و الحصاد و الرعي، كانت لنا بعض الأغنام هي كل ما نملك منها نشرب الحليب و نقتات، عشت هذه السنوات كلها تعب و محن و آلام و أحزان و حرمان، الثابت في هذه الأعوام هي الحاجة كما كانت وقتها تباشير الثورة تتماهى إلى

أسماعي مثل الأساطير، أحداث لا تتسى و قد رأيت الكثير من وجوه المجاهدين عندنا في البيت.

و في م1963 نزلت مع بعض الأصدقاء من أقاصي الريف إلى المدينة بمباهجها و أنوارها و رحابتها و بين عشية و ضحاها سرنا من أهلها".⁽¹⁾

و قد تابع الدراسة الليلية أكثر من نصف سنة بتفوق و هذا بفضل القران الكريم و هو لم يتجاوز سن الخامسة، و بعد حصوله على الشهادة الابتدائية و بعدها الأهلية لينخرط بعد ذلك في سلك التعليم ليتعمق أكثر في القراءة والكتابة.

و بذلك فإنّ رواية رحيل الصادرة عن دار الوطن هي رحلة كذلك بين الشرق و الغرب، و التي كانت بدورها زاخرة بالأحداث و المغامرات المرة والحلوة، و من الرحلات التي بقيت راسخة في ذهنه رحلته إلى بلاد الرافدين العراق، و كم كان فخور بكونه جزائري لأنه مفخرة العرب ليتوج هذا الفخر بتأشيرة مدى الحياة و لا بد للجزائري أن يسند أخاه في الغربية ليصبح وطن ثان له، و ينسيه بذلك وحشة الغربية.⁽²⁾

(1) نواره لحرش: جريدة النصر، نشر بتاريخ 29 ابريل 2017.

(2) الحوار نفسه، بتصريف.

- رأي النقاد الجزائريين في رواية رحيل:

1- رأي الشاعر والناقد "علاوة كوسة": " عوالم الأديب بهلولي تأثنت بالرحلة بكثير من المعاناة و ظلت في ذاكرته تسكن كل هذه المحطات التي تسردها في نصوصه".⁽¹⁾

مضيفا: "في رواياته اعترف جدا من التراث الشعبي هذا الاعتراف كان نقلا جميلا زاخرا بفنيات كبيرة تقرأ التراث بفن، كما تستوقفنا الأغنيات الجميلة التي وظفها في نصوصه، و هي أغنيات معظمها من التراث ما نلاحظه أيضا في روايته الأخيرة "رحيل" أنها تميل إلى أدب الرحلة، و في نفس الوقت تميل إلى سرد سيرة الذات، إذ تتداخل فيها السيرة الذاتية و حكايات رحلاته و أسفاره و لكن يمكن القول أنها من أدب الرحلة بامتياز".⁽²⁾

ليضيف قولا آخر: "الجميل أننا نخرج من الرواية ونحن مثقفين، نجد أنفسنا و قد ثقفتنا الرواية و زخم التراث الذي فيها، و الأغنيات الشعبية التي تتمدد على الصفحات و الحكايات".⁽³⁾

2- رأي الدكتور اليمين بن التومي: " مثل هذا النوع من الروايات لا تكتبها السعادة بل يكتبها حبر الدموع وحبر الجراح و الآلام".⁽⁴⁾

"هناك سارد في الرواية و ليس هناك بطل، رواية تقف على الوصف فيها يخفت السرد و يتحرك الوصف، رواية تنتمي إلى الأدب الذي لا يعيش على الحوار الكثيف بقدر ما يعيش على وصف الأشياء الخارجية، و هي تطرح علينا أيضا حكاية المنفى و الهجرة هذا الرحيل الظاهر فيها المتعة لكن نجده نفيا داخليا، هناك المنفى داخل الوطن العربي

(1) الحوار نفسه.

(2) الحوار نفسه.

(3) الحوار السابق.

(4) نواره لحرش، الكاتب الروائي محمد العيد بهلولي، جريدة النصر، نشر بتاريخ 23 نيسان أبريل، 2017م.

و هناك رحلة خارجية أو الرحلة الضدية، و كل هذا بزخم من المعاناة و العذابات التي عاشها الكاتب في رحلاته الكثيرة و هو حين يحكي الحكاية الداخلية التي حدثت في سفرياته المشرقية يحكي بضمير الأنا، و حين يحكي الحكاية الأوروبية الغربية يتحول الحكي بضمير هو ليصل في النهاية إلى نتيجة مفادها: أن القصة الرحلي قص موجه لكن هذا الاختزال في الحكاية ما كان يجب أن يحدث في رواية رحيل لأن هناك ثراء و غنى في تجربة رحلات بهلولي شرقاً و غرباً و كان من الممكن أن تكون رواية ضخمة من 400 إلى 500 صفحة و ليس 96 أو 100 صفحة فقط، إنّما رواية تبحث عن رحلة اكتمال لأنها تكتب الواقع السياسي والذاتي و الإنساني و تحمل الكثير من العلامات التي يجب أن تكتب بتوسعة أكبر".⁽¹⁾

و محمد العيد بهلولي من هواة السفر و عشاق الترحال يأسره سحر الشرق و يجذبه عبق الغرب و يرجعه حنين الوطن بفكره و روحه و مشاعره، فمهما كان جمال البلد الذي يزوره ألا إنّ حبّ الوطن و جماله الأخاذ يتفوق على كل هذه البلدان لأنّ كل زاوية من زوايا العالم فيه شبه كبير من وطنه الأم فخيال الوطن لا يغادره أبداً في النوم و الصحو، فالصديق الوحيد في هذه الرحلة "حقيبة منهكة بها أوراق و متاع فقير و آلة تصوير Olympus و القليل من الكتب "خفقة الطين" أحداها عبر الشرق العربي ثم أوروبا"⁽²⁾.

فالرواية تصف لنا مدن مشرقية عربية، و مدن أوروبية فهي ألغاز يحاول أن يكشفها لنا الكاتب من خلال هذه الرحلة الطويلة ليخرج لنا أهم الدرر و الكنوز الدفينة و الأسرار التي يعرفها إلا سكانها من خلال التعايش و العيش معهم و الإنسان لا يكشف ذاته و كيانه إلا تخلص من سلطة و عقدة المكان و بذلك يتحرر من كل قيود البقاء في حيز جغرافي معين، فالسفر و الرحيل مفتاح لكل لغز لاكتشاف الثقافات و الانسجام مع الذات.⁽³⁾ و

(1) الحوار نفسه.

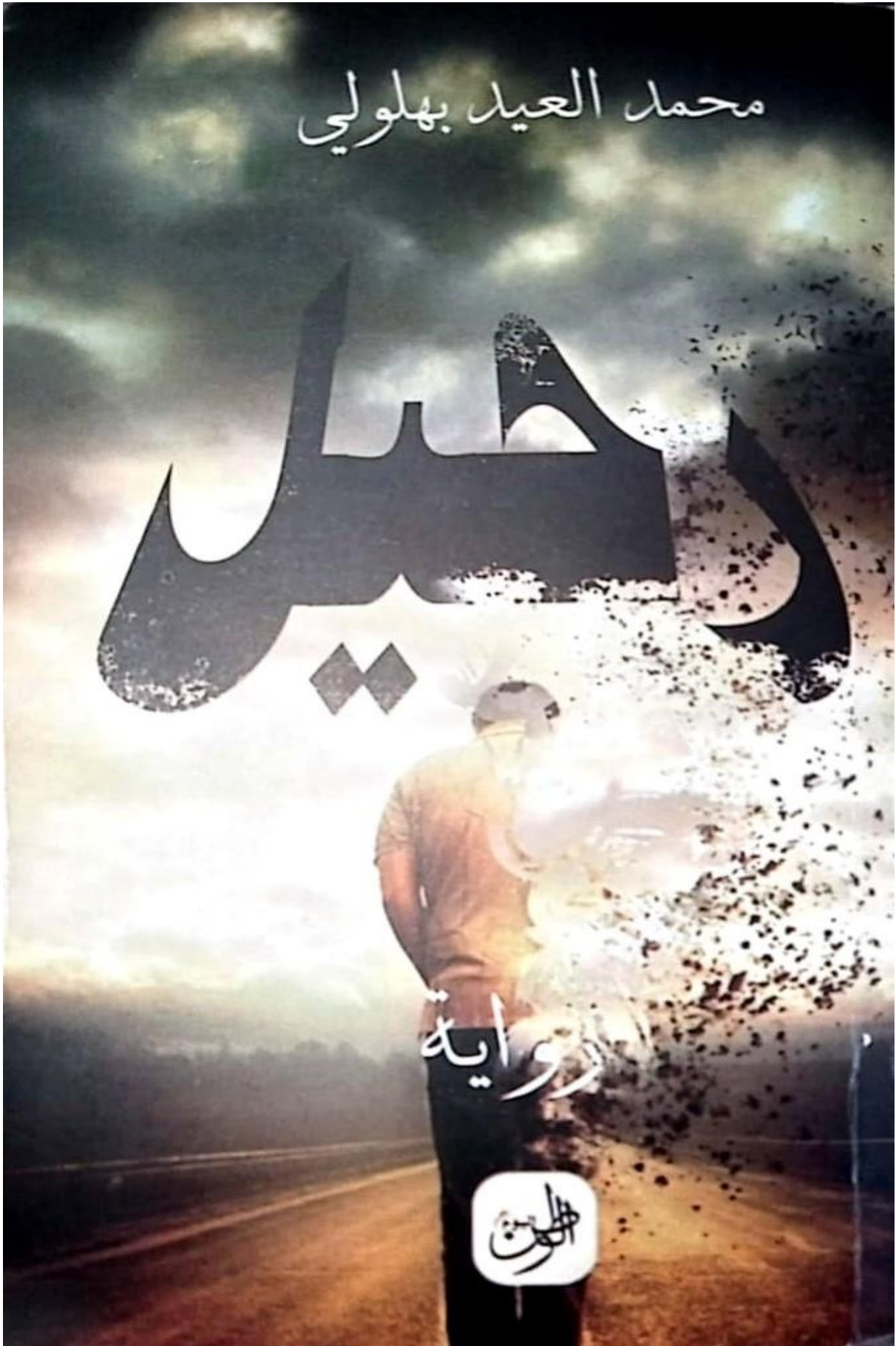
(2) الرواية، ص 5.


(3) حوار حمزة، المدن العالمية تبوح بأسرارها للقارئ الجزائري في رواية رحيل، نشر بتاريخ 18 ايار 2016 م. بتصرف.

الرحيل يبدأ أولاً بالإنسان بمعرفة نفسه و روحه في المقام الأول فهي ليست مجرد رحلة عابرة عبر 26 دولة عبر العالم فهي تعني كذلك المشاركة و التعارف على سكان هذه المدن و مشاركة يومياتهم حتى يكتشف المكان أكثر، هذه التجربة تشبه إلى حد ما أدب الرحلة⁽¹⁾.

فأدب الرحلة معروف منذ القدم ونذكر على سبيل المثال الرحالة ابن بطوطة و ابن خلدون، فكانت رحلاتهم تحمل الوقائع التاريخية الحقيقية لكن بلغة شعرية، فنية تعبر عن صدق مشاعر و أحاسيس الكاتب، ليعود هذا النوع من جديد إلى الواجهة لأنه بمثابة همزة وصل بين الحضارات و الثقافات و تقارب وجهات النظر الفكرية و حتى الميولات النفسية للشعوب، و بذلك يخرج من قالب الكلاسيكي القديم و الجانب التنظيري إلى تقنية حديثة نابعة عن التجربة و المشاركة الفنية فالرواية ليست مجرد قصة لجزائري و رحلة عابرة لمدن العالم بل الرحيل كفكرة و كتوظيف في مقاربة و تزواج بين المدن الجزائرية و المدن العالمية، بلغة فنية تحمل الكثير من المشاعر و الحنين وحبّ الوطن الدفين المغروس في قلب الكاتب أينما حل و ارتحل، إلا ونسيمة و ترابه الممزوج بهوائه يرغمه على التذكر و العودة إلى وطنه.

(1) الحوار نفسه، بتصريف.



A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns in black and white, framing the central text.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم برواية ورش.

• قائمة المعاجم اللغوية:

1- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر، بلد النشر، الجزء الخامس، د ط، 1979م.

2- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج 13، ط 4، 2005م.

3- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الجزء الثاني، د ط، 1982م.

4- مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز بادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1999م.

• قائمة المصادر:

5- محمد العيد بهلولي، رحيل رواية المنفى، الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، ط 2، 2018م.

6- اسم ولقب الناقد، عنوان الكتاب النقدي، دار النشر، بلد النشر، الطبعة، تاريخ النشر.

• قائمة المراجع:

7- أحمد زبير، جماليات المكان في قصص إدريس الخوري، دراسة نقدية، التتوخي، التتوخي للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، ط 1، 2009م.

- 8- أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2005.
- 9- إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي في أدب جبر إبراهيم جبرا، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2012.
- 10- حسن نجمي، شعرية الفضاء. المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2000
- 11- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1990.
- 12- حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية الفلسطينية، من منشورات مركز أوغاريت الثقافي، رام الله، فلسطين، ط1، 2007.
- 13- حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1991.
- 14- خالد حسين، شعرية المكان في الرواية الجديدة إدوارد الخراط أنموذجا، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، د ط، د ت.
- 15- خليل صلاح الدين بلعيد/ إبراهيم فكرون، دراسات روائية في السيرة الذاتية والمكان، الماهر للطباعة والنشر، سطيف، الجزائر، ط1، 2019.
- 16- سمر روجي الفيصل، الرواية العربية البناء والرؤيا مقاربات نقدية، اتحاد المكتبات العرب، دمشق، سوريا، د ط، 2003.

- 17- سمر روجي الفيصل، بناء الرواية العربية السورية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 1995.
- 18- سيزا قاسم، بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، د ط، 2004.
- 19- شاكِر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1994.
- 20- شريف حبيبة، بنية الخطاب الروائي، نشر عالم الكتب الحديث، ط 1، 2010.
- 21- عبد الحميد بورايو، منطق السرد " دراسات في القصة الجزائرية"، منشورات السهل، الجزائر، د ط، 2009م.
- 22- عبد المالك مرتاض، في نظريات الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1998.
- 23- عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط 4، د س.
- 24- غالب هلسا: المكان في الرواية العربية، دار ابن هاني، دمشق، د ط، 1989.
- 25- فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية دراسة في ثلاث روايات: الجذوة، الحصار، أغنية الماء والنار، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ط 1، 2003.
- 26- قادة عفاق، دلالة المدينة في خطاب الشعر العربي المعاصر دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان، منشورات اتحاد الكتاب الأدباء والعرب، دمشق، د ط، 2001.
- 27- محبوبة محمدي محمد آبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق سوريا، د ط، 2011.

- 28- محمد عزام، فضاء النص الروائي مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية سوريا، ط 1، 1996.
- 29- محمد علي الصابوني، مختصر تفسير بن كثير، المجلد الثاني، ط 7، منقحة، دار القرآن الكريم، بيروت، 1402هـ، 1981م.
- 30- محمد عويد محمد ساير الطربولي، المكان في الشعر الأندلسي، مكتبة الثقافة الدينية، ط 1، 1425 هـ، 2005م.
- 31- مراد عبد الرحمن مبروك، جيوبو ليتيكا النص الأدبي، تضاريس الفضاء الروائي نموذجاً، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2002م.
- 32- مهدي عبيدي: جماليات المكان في رواية ثلاثية حنا مينه، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، د ط، 2011م.
- 33- ياسين النصير، الرواية والمكان دار الحرية للطباعة، بغداد العراق، د ط، 1986.

• المراجع المترجمة:


- 34- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1984م.

• المذكرات والرسائل والأطروحات:

- 35- فاطمة الزهراء عجوج، المكان ودلالته في الرواية المغاربية المعاصرة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، 2018/2017.
- 36- هنية جوادي، صورة المكان ودلالته في روايات واسيني الأعرج، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013/2012م.

• قائمة المجلات:

- 37- نصيرة زوزو، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي المعاصر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد 06، جانفي 2010م.
- 38- نوارة لحرش، الكاتب الروائي محمد العيد بهلولي، جريدة النصر، نشر بتاريخ 23 نيسان أبريل، 2017م.

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns in black ink, framing the central text. The border features stylized leaves, small flowers, and elegant curves.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعران

إهداء

أ	مقدمة:
7	1- مفهوم المكان:
7	1-1- المكان في القرآن الكريم:
8	1-2- المكان لغة:
9	1-3- المكان اصطلاحا:
11	2- أنواع المكان:
11	2-1- الفضاء:
15	2-3- الحيز:
18	3- أنواع الأمكنة:
19	3-1- المكان المفتوح:
20	3-2- المكان المغلق:
21	3-3- المكان المتحرك:
23	5- وظيفة المكان في الرواية:
26	خلاصة الفصل الأول:
29	1- الأماكن المفتوحة:
31	• تونس:
32	• القاهرة:
32	• دمشق:
33	• باريس:
34	• الشارع:

- 35: الحي •
- 36: البحر •
- 36: الغابة •
- 37: الصحراء •
- 38: 2-الأماكن المغلقة:
- 38: الغرفة •
- 39: الجامعة •
- 40: المدرسة •
- 45: الفندق •
- 46: السّجن •
- 47: 3-الأماكن المتحركة(المتحركة):
- 47: السيارة •
- 48: الباخرة •
- 49: الطائرة •
- 50: 4-دلالة المكان:
- 56: خاتمة:
- 59.....: ملحق.

ملخص البحث.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المخلص:

إن تشكيل النص الروائي لا يمكن أن يتم بمعزل عن عنصر المكان الذي يعد من العناصر السردية المهمة التي يقوم على أساسها العمل الروائي، فهو يجعل من أحداث الرواية أمرا محتمل الوقوع بالنسبة للقارئ، فالعمل الأدبي الذي يخلو من المكانية قد يفقد خصوصيته التي ينتمي إليها.

تعالج هذه الدراسة التشكيلات المكانية وهندستها في رواية "رحيل" لمحمد العيد بهلولي من خلال بنية المكان داخل الخطاب الروائي، حيث تنوعت بين أماكن مفتوحة ومغلقة ومتحركة، وأبرزنا وظيفة ودلالات هذه الأمكنة التي جاءت في الرواية ومدى انسجامها مع الشخصيات.

الكلمات المفتاحية: رواية رحيل، الأماكن المفتوحة، الأماكن المغلقة، الأماكن المتحركة، دلالات المكان.

Summary :

Forming a narrative text can't be without the element of place which is an important narrative element that builds the narrative works. It makes the events of the novel a possible thing which can occur to the reader.

The literary work without element of place can miss its private that it belongs to.

This study deals with the place formulations in the novel "Rahil" of Mohammed Elid Bahlouli through the structure of place inside the narrative speech. There are many kinds of place such as: opened, closed and moving places.

We show the meaning and use of these places that came in the novel and to what extent it fits the personalities.

Keys words: places, Rahil novel, opened places, closed places, moving places, place meanings.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه، السيد(ة): عبد المكي سحمام طالب
الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم 10 2 2 28 390 والصادرة بتاريخ: 10 2 2 28 390
المسجل(ة) بدائرة جامع الضلع بالمسيلة
والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر، عنوانها: رسالة رحيل لحمد العيد بعلول
تحت إشراف الأستاذ رحيل رحيل

أصرح بشرفي أنني أتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية و
النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في: 2016/06/08

إمضاء المعني

ع



ملاحظة: أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016، الذي يحدد القواعد المتعلقة بـ
الوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.